تمهيد للدراسة

فى

علم مقارنة الأديان

تأليف

د/حذيفة محمد المسير

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، أما بعد،،،

فلقد لاحظت – بحكم دراستى وعملى – أن كثيرًا من الطلاب يبتعدون عن الدراسة فى قسم العقيدة والفلسفة، ووجدت أن لذلك أسبابًا بعضها يرجع إلى أفكار غير سليمة تنفر من دراسة الفلسفة، وتبدع الآراء فى علم الكلام، وتترفع عن التصوف، وبعض تلك الأسباب يرجع إلى طريقة العرض والتدريس، إذ أن هذا القسم يضم دررًا فى علومه، ولآلئ بين فنونه، لكن فى بعض الأحيان يتم تدريسها بطريقة جافة بغير تمهيد وتهيئة.

والأسباب التى ترجع إلى الأفكار غير السليمة يمكن علاجها بالعلم الصحيح، والقدوة الصالحة، والأسباب التى ترجع لطريقة العرض يمكن علاجها بمحاولة السلاسة فى الأسلوب، أو تهيئة العقول للإقبال، أو بالتدرج فى الإلقاء، مع ملاحظة حجم التفكير الضئيل الذى يدخل به الطالب للدراسة بالكليات مقارنة بما يجب أن يكون عليه.

وهذا البحث محاولة لمعالجة تلك الأسباب التى من النوع الثانى فيما يتعلق بدراسة الأديان ومقارنتها.

ولقد حاولت النظر والاستنباط، والتحليل والتدقيق، وتفصيل النقاط والعرض للاقتراب من المطلوب أداؤه.

وقد جاء هذا البحث على عشرة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: التعريفات.

المطلب الثاني: بداية العقيدة.

المطلب الثالث: أسباب التحريف فى العقيدة.

المطلب الرابع: نشأة علم مقارنة الأديان وتاريخه.

المطلب الخامس: أهمية دراسة هذا العلم.

المطلب السادس: حكم تعلم هذا العلم.

المطلب السابع: القواعد الإسلامية فى دراسة الأديان.

المطلب الثامن: ألوان دراسات علماء المسلمين ومناهجها.

المطلب التاسع: موضوع هذا العلم ومسائله.

المطلب العاشر: تصنيف الأديان.

وأسأل الله إخلاص العمل، وتمام القبول، ودوام الثواب.

{ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ}

والحمد لله رب العالمين،،،

د/حذيفة محمد المسير

المطلب الأول
التعريفات

أولاً: تعريف الدين:

المعتاد عند كثير من العلماء أن يذكر التعريف اللغوى قبل الدخول إلى تحديد المعنى الاصطلاحى، والتعريف اللغوى يقصد به إظهار المعانى التى أرادها العرب حين أطلقوا هذه الكلمة، وفى أى حال كانوا يستخدمونها، سواء كان هذا الاستخدام حقيقيًا أم مجازيًا، فالعلماء لم يخترعوا كلمة من عند أنفسهم وإنما اختاروا كلاما معروفا بين الناس استخدامه، فالمعنى اللغوى يذكر معانى تلك الكلمة قبل أن تصير اصطلاحا معينا بين فريق من العلماء.

أما التعريف الاصطلاحى فيقصد به تحديد المعنى المتفق عليه بين طائفة من العلماء لهذه الكلمة فى فن معين، وبالتالى قد يختلف هذا الاتفاق من علم لآخر، بل قد يتخذ عالم لنفسه اصطلاحًا معينا يحدده للكلمة حين يستخدمها هو، والمعنى الاصطلاحى لا يلزم فيه أن يكون وثيق الصلة بالمعنى اللغوى، فقد تُحْدث التصاريف الزمانية والمكانية والعلمية فى الكلمة من المعانى ما يفقدها الصلة بالمعنى اللغوى الأصلى، وإن كان ذلك لا يمنع من البحث عن المظهر الذى لأجله اختار العلماء هذه الكلمة بعينها.

ومن جهة أخرى قد يستخدم القرآن أو السنة هذه الكلمة بمعنى محدد، ولذلك سنذكر سريعًا المعانى المأخوذة من كلمة الدين سواء فى معناها اللغوى، أو استخدام القرآن، أو المعنى الاصطلاحي.

أ- المعنى اللغوى:

وردت معانى كلمة الدين فى المعاجم[1] على أنحاء عديدة، فالدين مثلا هو الطاعة، يقال دخل فى دين الملك أى فى طاعته، والدين: الملة والعقيدة، والدين: الحساب، قال تعالى: { **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** } [الفاتحة: ٤] أى الحساب والجزاء على الأعمال.

وذكر الدكتور دراز[2] أن هذه الكلمة مأخوذة من الفعل دان يدين دينا وهو يكون على ثلاثة أحوال: فقد يكون متعديًا بنفسه يقال دان الرجلُ الرجلَ، أى ملكه وحكمه وقهره وجازاه، وقد يكون متعديا باللام يقال: دان الرجل له، أى خضع له وأطاعه، وقد يكون متعديًا بالباء يقال: دان الرجل بالشىء، أى اتخذه دينا ومذهبا وعقيدة.

ب- فى استخدام القرآن الكريم[3]:

جاء لفظ الدين بكسر الدال إما بمعنى الجزاء على الأعمال، وإما بمعنى الدين مفرد الأديان، وهذا المعنى الثانى جاء فى القرآن الكريم عاما شاملا لكل دين، صحيحا كان أو فاسدًا، وجاء هذا المعنى شاملاً لجوانب العقيدة والعبادة والتشريع.

فلفظ الدين جاء مضافا إلى الله تعالى مثل قوله تعالى: { **وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا** } [النصر: ٢]، وهو هنا الدين الحق الصحيح، وقد يأتى اللفظ مضافا إلى البشر وحينئذ إما أن يكون دينا صحيحا سماويا، أو دينا سماويا محرفا، أو دينا بشريا مخترعا، فمثال الأول قوله تعالى: { **وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي**

(١) انظر مثلاً: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص٢٤١، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، وكذا مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر الرازي، ص٢١٧-٢١٨، بدون بيانات.

(٢) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د/ محمد عبد الله دراز، ص٣٠-٣١، بدون بيانات.

(٣) انظر فى الحديث حول هذه النقطة كتاب: المدخل لدراسة الأديان، د/محمد سيد أحمد المسير، ص١٤-١٦، مكتبة الإيمان، ٢٠٠٧م.

دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ } [التوبة: ١٢]، ومثال الثانى قوله تعالى: { وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ } [آل عمران: ٧٢-٧٣]، ومثال الثالث قوله تعالى: { وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّى أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسَادَ } [غافر: ٢٦].

ج- المعنى الاصطلاحى:

الأصل فى التعريفات الاصطلاحية أنه لا مشاحة فى الاصطلاح، بمعنى أنه ما دام هذا المعنى الاصطلاحى لا يتضمن إيهاما فاسدا، أو تلبيسا على العقول، فلا مجال للاعتراض عليه، ولكلٍ الحق فى تحديد ما يراه أنسب للوصول إلى المعنى الذى يراه لائقا بكتابه.

لكن هذا الأصل لا يمنع من محاولة البحث عن أوفق الآراء المناسبة لعموم هذا العلم، ولعامة من يكتب فيه.

والمتأمل فى الكتابات العربية لهذا المعنى الاصطلاحى يجد أن أكثر ما اتفق عليه الباحثون يدور حول رأيين:

الأول: الدين: وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات(١).

وهذا التعريف هو الأشهر، وقد تذكر بعض التعريفات التى تدور فى إطاره مثل: الدين هو ما شرعه الله على لسان نبيه من الأحكام(٢)، ومثل قول الشريف

(١) انظر المرجع السابق ص٢٠، وكذا الدين، د/ محمد دراز، ص٣٣، والعقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع، د/ محمد عبد الرحمن بيصار، ص٨٣، مكتبة الأنجلو المصرية، ط الثالثة، ١٩٧٢م، وبحوث فى مقارنة الأديان، د/ محمد عبد الله الشرقاوي، ص١٤، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ونظرات فى الديانة الشرقية، د/ طه الدسوقى حبيشى وآخرون، ص١٤، مطبعة رشوان، بدون بيانات.

(٢) المدخل لدراسة الأديان، د/ محمد المسير، ص٢٠، مرجع سبق.

الجرجانى: الدين: (وضع إلهى يدعو أصحاب العقول فى قبول ما هو عند الرسول صلى الله عليه وسلم)(١).

الثانى: الدين: جملة النواميس النظرية التى تحدد صفات تلك القوة الإلهية وجملة القواعد العملية التى ترسم طريق عبادتها، وهو التعريف الذى وضعه الدكتور دراز(٢)، وقد يذكر البعض تعريفه للتدين على أنه تعريف للدين وهو: الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشئون التى تعنى الإنسان، اعتقادا من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية فى رغبة ورهبة، وفى خضوع ويقين، أو هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة(٣).

لكن يؤخذ على الرأى الأول أنه (تعريف للدين الصحيح وليس تعريفا للدين بوجه عام)(٤).

أما الرأى الثانى فإنه يحتاج إلى وقفة تأمل فى هاتين النقطتين وهما:

الأولى: إن المؤلف نفسه يعترف بأن هذا ليس اصطلاحا عاماعند كل أصحاب الدراسات فى مقارنة الأديان، فهو حين يتحدث عن كلام بعض مؤرخى البوذية والذى يؤدى إلى نتيجة محددة هى (أن تكون هناك ديانات خالية من فكرة العبادة)(٥)، لما يذكر هذا الاستدراك يقول: (لكن المسألة إنما هى فى صحة تسمية أمثال هذه المذاهب أديانا، ونحن لا نرى مانعا من أن يصطلح مصطلح على هذه التسمية، ولكنه يكون اصطلاحا نابيا عن معهود الناس، مجافيا لذوق اللغات، ولا سيما لغتنا العربية التى لا تفهم من اسم الدين إلا اعتقادا بشىء يدين له المرء، أى يخضع له ويتوجه إليه

(١) التعريفات، الشريف على الجرجاني، ص٤٧، دار السرور، بيروت، لبنان.
(٢) الدين، د/ محمد دراز، ص٥٢، مرجع سبق.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة، وانظر: المدخل لدراسة الأديان، د/ محمد المسير، ص٢٣، وبحوث فى مقارنة الأديان، د/ محمد الشرقاوي، ص١٥، والعقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع، د/ محمد بيصار، ص٨٤-٨٥.
(٤) المدخل لدراسة الأديان، د/محمد المسير، ص٢٥، مرجع سبق.
(٥) الدين، د/ محمد دراز، ص٣٩، مرجع سبق.

بالرغبة والرهبة والتقديس، بل إننا لا نبالغ إذا قلنا إن كل مذهب يخلو من هذه الدينونة هو أحق باسم الفلسفة الجافة منه باسم آخر، وأكبر الظن عندنا أن الديانات المذكورة البوذية والكونفوشيوسية ونحوهما ما استحقت أن تدرج فى جدول الأديان إلا منذ دخلتها فكرة التأليه، أو على اعتبار أنها كانت كذلك أبدا.

وبالجملة فنحن لا نوافق على حذف مبدأ الألوهية من تعريف الأديان)[1].

وهذا التعقيب فيه أن هناك من أطلق على بعض الاعتقادات لفظ الأديان مع أنها لا تتوافق من كامل التصور الذى وضعه الدكتور دراز لها، هذا أولاً، وثانيًا أنه يقول أنه مع أنه لا مشاحة فى الاصطلاح إلا أنه مصطلح ينبو عن معهود الناس وذوق اللغة، وقد أشرنا قبل ذلك إلى أن الاصطلاح فى الفنون هو بين علماء الفن أو بعضهم ولهذا لا علاقة لاصطلاحهم بمعهود الناس أو اللغة لأنهم – أى العلماء – هم الذين يحددون معنى الألفاظ التى تضم موضوعات بحثهم، ومن جهة ثالثة فالحديث يدور حول أديان تمت دراستها فعلا فى هذا العلم، فالقول بأنها ليست أديانا بحسب مفهوم هذا العلم تناقض.

ومن جهة رابعة فالنص السابق يبدأ بالحديث عن مسألة عبادة الآلهة لينتهى بالحديث عن الاعتراف بوجود الإله، وهما لا رابط بينهما فى هذا السياق، ولا أدرى أكان سبق لسان للدكتور دراز، وهو عبقرى فى مجال التحليل والاستنباط سواء فى كتابه هذا أو غيره، أم أننى لم أستطع الوصول إلى حقيقة ما يريد.

الثانية: إن المؤلف يقول: (إن الحقيقة التى أجمع عليها مؤرخو الأديان هى أنه ليست هناك جماعة إنسانية، بله أمة كبيرة، ظهرت وعاشت ثم مضت دون أن تفكر فى مبدأ الإنسان ومصيره، وفى تعليل ظواهر الكون وأحداثه، ودون أن تتخذ فى هذه المسائل رأيا معينا، حقا أو باطلا، يقينا أو ظنا، تصور به القوة التى تخضع لها هذه

(١) المرجع السابق، ص٣٩-٤٠.

الظواهر فى نشأتها، والمآل الذى تصير إليه الكائنات بعد تحولها)[1].

وهذا القول حقيقة لا نشك فيها، لكن التساؤل هو هل يلزم على التسليم بهذه المقولة التسليم بحقيقة أنه ليست هناك جماعة إنسانية أو أمة كبيرة إلا واعترفت بوجود الإله؟، ألا يمكن فى إطار الآراء الباطلة التى تتخذها بعض الأمم تحت بعض التصورات أن نجد أمة تتخذ من مبدأ إنكار الألوهية أساسا للإجابة عن هذه التساؤلات؟، أليست الدول الشيوعية فى زماننا تصلح أن تكون نموذجا لهذا الفكر البشرى المنحرف؟، وهل يمكن فى هذه الحالة أن نقول إن الأمم الشيوعية كان خالية من فكرة الدين؟، وعندئذ هل تكون فكرة الدين فطرية فى الإنسان؟.

لا يقال أن أفراد تلك الأمم قد يحتفظون ببعض عقائد ديانات تؤمن بوجود الإله، لأنا نقول: إن رأى الفرد - وخاصة إذا كان سريا - لا يعبر عن المجتمع، وهب أننا ندرس تلك الأمم بعد فترة من الزمن لم نعرف فيها كوامن النفس فى أفرادها هل نقول كانت أمما بلا دين؟.

وبناء على ما سبق فإن الرأى الثانى ليس اصطلاحا عاما يمكن السير عليه فى تحديد الأديان التى يشملها هذا العلم، فإننا نحتاج إلى تعريف ما يبقى على إطلاقه ليشمل الجميع، (فالإيمان أخص من الدين، لأن الدين يشمل الإيمان بالله، والإلحاد به سبحانه ويشمل الوحى المنزل، والنحلة المخترعة، والإيمان لا يكون إلا بالله أيا كان تصور البشر عن هذا الإله، فهناك إيمان صحيح ... وهناك ألوان أخرى من الإيمان تبعد عن هذا المنهج الصحيح وتختلف معه)[2].

وعلى هذا فإنى أرى أن الدين هو: جملة القواعد والقوانين التى تعطى الإنسان إجابات مقدسة عن تساؤلاته حول أمور الكون والحياة الغيبية، بشرط أن تكون لهذه القواعد مظاهر عملية واجبة فى حياة البشر.

---

(١) المرجع السابق، ص٣٨-٣٩.

(٢) المدخل لدراسة الأديان، د/ محمد المسير، ص٢٨، مرجع سبق.

والمقصود بالإجابات المقدسة أن يأخذها صاحبها على أنها حقيقة لازمة لا تقبل الشك عنده، ومن هنا فإن كل دين لا بد له من عقيدة لكن شرط العقيدة الدينية أن تكون متمكنة فى النفوس – ولو بحسب الظاهر – لا تقبل الجدل والنقض، وهذا هو الفرق بين العقيدة الدينية وأفكار الفلاسفة حيث إن تلك الأفكار وإن كانت تشبه أن تكون عقيدة إلا أنها تظل عند أصحابها قابلة للرد والتعديل، محتاجة فى قرارة النفوس إلى تكرار النظر للتأكد من صحتها.

والمقصود بالمظاهر العملية الواجبة أن يلزم الدين بعقيدته المسلَّم بها أصحابه على السير بطريقة معينة فى حياتهم سواء فى كل جوانبها أو فى بعضها دون البعض.

ثانيًا: تعريف الملة:

من الألفاظ المستخدمة فى مجال مقارنة الأديان لفظ الملة، ولكن لأن لفظ الدين هو الأساس كثر الحديث عنه والتفصيل فيه.

أما لفظ الملة بكسر الميم وفتح اللام وتشديدها فإنه فى اللغة يدل على الشريعة أو الدين والجمع ملل بكسر الميم وفتح اللام(١).

وفى القرآن الكريم(٢) استخدمت الملة للدلالة على الدين الصحيح أو الفاسد لكنها جاءت دائما مضافة إلى البشر ولم تأت مضافة إلى الله تعالى، فقد أضيفت إلى الأنبياء للدلالة على الدين الصحيح قال تعالى { **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** } [البقرة: ١٣٠]، وجاءت مضافة لأهل الكتاب للدلالة على الدين السماوى المحرف، قال تعالى: { **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** } [البقرة: ١٢٠]، وجاءت مضافة للكافرين أصحاب الديانات المخترعة، قال تعالى: { **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا** }

(١) انظر المعجم الوجيز، ص٥٩١، ومختار الصحاح، ص٦٣٤.
(٢) راجع فى ذلك المدخل لدراسة الأديان، د/محمد المسير، ص١٧-١٨، مرجع سبق.

[إبراهيم: ١٣٠].

أما الملة فى الاصطلاح فإنها مرادفة للدين من حيث الماصدق، وقد يذكر البعض أن (الشريعة من حيث إنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة ... وقيل الفرق ... أن الدين منسوب إلى الله تعالى والملة منسوبة إلى الرسول)[١]، وهذه الفروق هى فى وجه التسمية وليست فى ما تصدق عليه التسمية، وبالتالى فإن كل ما يسمى دينا يسمى ملة[٢].

ثالثا: تعريف النحلة:

لفظ النحلة من الألفاظ المستخدمة كذلك فى هذا المجال، والتى يكثر استعمالها، وهى فى اللغة تأتى بمعانى منها: أنها اسم لما يعطى للمرأة من الصداق، وتطلق كذلك على الدعوى أى ادعاء الشىء على غير وجه الصحة[٣]، وقد يقال عنها أنها تطلق على الدين والعقيدة[٤].

ولم تأت هذه الكلمة فى القرآن إلا فى معرض الحديث عن مهر المرأة حين قال تعالى: { **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً** } [النساء: ٤].

أما فى الاصطلاح فبعضهم يجعل النحلة مختصة بغير دين الإسلام لما فى اللفظ من معنى الادعاء بغير دليل[٥]، وذكر بعضهم أن الإمام ابن حزم استخدم اللفظ على الجميع فيكون مرادفا فى الماصدق للدين والملة[٦].

كل هذا باستثناء رأى الشهرستانى الذى جعل الدين والملة مترادفين يطلقان

(١) التعريفات، الشريف الجرجاني، ص٤٧، مرجع سبق.
(٢) المدخل لدراسة الأديان، د/محمد المسير، ص٢٧، مرجع سبق.
(٣) المعجم الوجيز، ص٦٠٦، مختار الصحاح ص٦٤٩.
(٤) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، ص٦٠٦، مرجع سبق.
(٥) المدخل لدراسة الأديان، د/محمد المسير، ص٢٨ ، مرجع سبق.
(٦) مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلامية، د/عوض الله جاد حجازي، ص١٠-١١، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

فقط على الأديان التى لها أصل سماوى فقط، أما النحلة فقد جعلها مرادفة للأهواء وجعلهما يطلقان على الأديان الوضعية فقط(١).

رابعًا: المقصود بمقارنة الأديان:

مقارنة الأديان: علم يختص بالبحث فى الأديان من حيث تكوينها وتاريخها وتأثيرها وتطورها ومقارنة بعضها ببعض وما يتعلق بذلك من أمور.

وقد تطلق أسماء أخرى على هذا العلم كلها من قبيل الترادف، فقد يسمى بعلم تاريخ الأديان، أو دراسة الأديان، أو الأديان، أو الملل والنحل، وغير ذلك.

(١) انظر الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، ص١١-١٣ ج١، ص٣ج٢، تحقيق محمد سيد كيلاني، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

المطلب الثاني
بداية العقيدة

إذا كانت العقائد هى أساس الأديان بحيث إنه لا يصح وجود دين بغير عقيدة، سواء كانت هذه العقيدة صحيحة أم مشوهة أم مخترعة، فإن الحديث عن بداية الأديان وحالها يقتضى الحديث عن بداية العقيدة ووجودها.

والحديث عن نشأة العقيدة يعنى الحديث عن الصورة الأولى التى كانت عليها عقائد البشر قبل أن تتطور وتختلف.

وحين نتكلم عن هذه النشأة نجد أن التساؤل الشائع هو هل بدأت البشرية بالتوحيد أم أنها بدأت بالتعدد فى الآلهة؟.

والواقع أنى لما بحثت فى مسألة بداية العقيدة وجدت أكثر المؤلفين يذكرون أن العلماء فى المسألة على رأيين:

الأول: يرى أن الإنسانية بدأت بالتوحيد، ويستدلون على ذلك بأن عقيدة الإله الأعلى أو الخالق الأكبر هى أقدم ديانة ظهرت، لأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم فى القديم والحديث، وأن شأن الديانات السماوية المعروفة أنها بدأت بالتوحيد ثم طرأ الشرك فأشبه ذلك الماضى، وهم يستدلون أيضا بخبر الكتب المقدسة وبخاصة القرآن الكريم بالنسبة للمسلمين، حيث تخبر هذه الكتب بأن أول البشر كان آدم عليه السلام وكان على عقيدة التوحيد الخالص، ومن آدم وحواء جاء بقية البشر.(١)، وهذا الطريق من الاستدلال – كما يقول الدكتور دراز – (اعتراف ضمنى بأن وسائل العلم البشرى وحدها عاجزة عن أن تصل بنا من طريق يقينى إلى نقطة البدء الحقيقى للدين،

(١) راجع: الدين، د/ محمد دراز، ص١٠٧-١٠٨، والعقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع، د/ محمد بيصار، ص١٨-٢١، والمدخل لدراسة الأديان، د/ محمد المسير، ص٦٢-٦٣.

والواقع أن الحل النهائى لهذه المسألة إنما يكون عن طريق الوحى لأنها داخلة فى منطقة الغيب التى هى موضوع الإيمان، وليست من شأن العلوم الاستقرائية ولا العلوم الاستنتاجية)[1].

الثانى: يرى أن الإنسانية بدأت بالتعدد حتى انتهت إلى التوحيد، وقد يقولون بأن الأديان مرت بثلاثة أطوار هى: دور التعدد أى كثرة الآلهة دون تمييز لبعض على بعض، ثم دور التمييز والترجيح بأن يكون أحد هذه الآلهة أو بعضها أكبر مكانة من الآخرين، ثم دور الوحدانية[2].

ويستدل أصحاب هذا الرأى بأن شأن الإنسان فى حياته أنه يبدأ بالنقص ثم يترقى إلى الكمال، ويبدأ بالخطأ ثم يصل إلى الصواب، وأن المتأمل فى أحوال الحضارات من العلوم والفنون يجد مصداق ذلك.

ثم إن الآثار والحفريات تدل على سبق عقيدة التعدد على عقيدة التوحيد، ومن وجهة ثالثة فإننا نرى الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب المدنية تكون على عقيدة التعدد، وهذه الأمم تشبه فى حالها البشرية فى بدايتها[3].

لكن الاستناد إلى الحفريات لا يفيد لأنها لا توصل إلى زمن بدء الإنسانية وإنما يمكن الوصول إلى نقطة زمنية ما ثم ينقطع التواصل مع ما قبلها، والقياس على الأمم البدائية فى زماننا لا يفيد لعدم القطع بالشبه بينهما، أما مسألة الترقى فليست مطردة وخصوصا فى المسائل النظرية، وشهادة التاريخ أن الأمم وصلت فى بعض فترات حياتها للتوحيد ثم انهارت وابتعدت عنه.

ثم إن الحديث هنا هو عن أولية الوجود، وهى مرحلة لا يستطع العلم الولوج

(١) الدين، د/ محمد دراز، ص١١٣، مرجع سبق.
(٢) راجع: الله، عباس محمود العقاد، ص٢٠، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، الأعمال الدينية، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨.
(٣) راجع: الدين، د/ محمد دراز، ص١٠٧-١٠٩، والله، عباس العقاد، ص١٠-٣٠، والعقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع، د/ محمد بيصار، ص١٧-١٨.

إليها بوسائله المتاحة له حاليًا[1].

ولذا فإنه من باب الاحتمال العقلى يقول الدكتور دراز: (بل هاهنا نظرية ثالثة يمكن الأخذ بها فى المسألة، وتقريرها أن الرشد والضلال فى الفكرة الدينية ليستا ظاهرتين متعاقبتين فقط صعودا أو انحدارا على مدى العصور، بل هما ظاهرتان متعاصرتان موزعتان فى كل أمة وجيل تبعا لاختلاف الأفراد فى درجات استقامة الحدس العقلى، ونبل الحس الباطنى، فلا يخلو جيل ما من نفوس صافية تدرك الحقيقة نقية من شوائب الخرافة، وأخرى دون ذلك، ولعل هذا الوصف هو أقرب الأوصاف تصويرا للواقع المعروف)[2]، لكنه بعد ذلك يذكر أن هذا الافتراض لا يمكن إثباته على الأمم المفقودة على وجه قاطع[3]، وفى نفس الوقت فإننا نتحدث عن أولية الوجود فى مسائل العقيدة، والقول بالتزامن بين الرأيين أصعب فى إثباته من القول بأحدهما، لأنه يقتضى إثبات وجود الرأيين فى وقت واحد فى بداية البشرية دون أسبقية لأحد على أحد، فعليه إثبات وجود التوحيد والتعدد فى بداية الوجود البشرى، وإثبات تزامنهما معًا.

كان ما سبق هو تلخيص لما يدور من الحديث حول مسألة بداية العقيدة الدينية بين البشر، لكننى أرى أن وضع الأمر على هذا التساؤل أيهما أسبق؟ هو الذى أدى لهذا الاختلاف، وأن هذا التساؤل ليس هو السؤال الحقيقى فى المسألة والذى ينبغى البحث عن إجابته.

إن التساؤل الحقيقى هو: هل وصول الإنسان لإدراك العقيدة الصحيحة يتم

(١) راجع: الدين، د/ محمد دراز، ص١١٣، والعقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع، د/محمد بيصار، ص١٩-٢١، كما يمكن الرجوع إلى مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام، د/عوض الله حجازي، ص٣٤-٤٣.
(٢) الدين، د/محمد دراز، ص١١٢، مرجع سبق.
(٣) المرجع السابق، ص١١٣.

عن طريق الوحى الإلهى، أم أن الأديان هى محض تفكير بشرى لا دخل للوحى به؟.

إن الذهن الإنسانى لو حاول التأمل فى بداية الوجود البشرى فسيفترض – إذا لم يستند إلى الوحى الصحيح – أن هذه البداية إما أنها كانت من ذكر وأنثى، أو من مجموعة من البشر، ولو تصور الذهن اللحظة التى سيوجد فيها هذا البشرى الأول ويدرك وجوده وينظر حوله، لوجد أنه لا محالة لا بد أن تثور فى داخله تساؤلات أساسية مثل: من أنا؟، وأين أنا؟، ولماذا أوجد هنا؟، ومن الذى أوجدنى؟، ولماذا؟، وما هذه الأشياء من حولى؟، وما علاقتى بها؟، وما حدود تعاملى مع غيرى؟، إلى غيرها من الأسئلة اللازمة، والتى لا بد أن يجد إجابتها ليحدد هدفه ودوره وطريقة حياته، وهذه هى العقيدة، وهنا يكون الدين، ولهذا كان القول بفطرية الدين، (وإذا كان الفيلسوف العربى المسلم أبو الوليد بن رشد يؤمن بأن الكون لا يخلو من إنسان، وأن الإنسانية لا تخلو من فيلسوف، فإن هذه الحقيقة إنما تمدنا منطقيا بحقيقة أخرى ناتجة عنها، ومتممة لها، بها تكمل للإنسان إنسانيته، وتتحقق طبيعته، وهى أن الإنسان لا يخلو من عقيدة، والعقيدة هنا لا يراد بها قالبًا معينًا لفكرة معينة، وإنما أريد بها أنه لا بد للإنسان من شىء يعرفه أو يؤمن به، مهما بعدت به تلك المعرفة أو ذلك الإيمان عن الحقيقة وعن الواقع ونفس الأمر)[1].

إذا تم ما سبق فالتساؤل – كما سبق – هو هل للوحى الإلهى دخل فى معرفة هذه الأمور فى أى لحظة من لحظات البشرية أم لا وجود للوحى أصلاً؟

إن من يقول بأن الأديان والعقائد تطورت من الوثنية والخرافة والتعدد حتى وصلت للتوحيد يلزمه [2]أمران:

الأول: أن بداية العقيدة فى البشر لم تكن تعددًا فى الآلهة، بل كانت إلحادا كاملا، أى

(١) العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع، د/ محمد بيصار، ص١٤، مرجع سبق.

(٢) ليس كل القائلين بهذا الرأى يقولون بهذين الأمرين، وإنما هو نتيجة لازمة لمذهبهم، ولازم المذهب ليس بمذهب على الصحيح، وبالتالى فهذا الإلزام وإن كان ليس قول هؤلاء لكنه مما يضعف قولهم.

إنكارًا لوجود الإله فى أى صورة كان، لأن الإنسان فى أول أمره – ما دام يبدأ بالنقص ثم يترقى – لن يعترف بوجود الإله أصلا، ومسألة أن البشر كانوا يعبدون بعض المظاهر رغبة أو رهبة لا يمكن أن تطرأ فجأة، فإن الرغبة والرهبة لا تأتى إلا بعد أزمان وتجارب وتراكم تصورات وتعاقب أجيال، وذلك شأن أى عقيدة فى أنها لا تتمكن فى الأنفس إلا بعد أزمان متطاولة ما دامت مبنية على مجرد الفكر والنظر والخيالات.

الثانى: أن كل الأديان الماضية والحاضرة والمستقبلة هى مجرد خرافات وأساطير لا تعطى صورة حقيقية عن الواقع، ولا يلزم من الحكم بالخرافة الحكم بها على كل مكون من مكونات العقيدة، بل معناه أن بعض تلك المكونات لا دليل عليها، ودليل ذلك أنا نقول إذا كان البشر ترقوا فى صحة المعتقد فى الله حتى وصلوا إلى الصواب بشأن وحدانيته، فهل ما وصلوا إليه من حيث بقية صفاته سبحانه وتعالى أو الملائكة أو الجن أو الروح أو الساعة أو غير ذلك كان صوابا أم أنه محاولة فى طريق الوصول إلى الصواب؟، وما هو الدليل حول صحة تلك الأمور؟. فإما أن يقال أنها تصورات خاضعة للتطور كما هو هذا الرأى، أو أن يقال إن معرفة الصدق فى ذلك بناء على الوحى الصحيح من الله تعالى على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم.

والأول يجعل العقيدة صورة من صور الأساطير، والثانى يجعلنا نقول لو سلم الإنسان بوجود الوحى الإلهى من الله لهداية الإنسان الآن فإن التسليم بوجوده فى أول الإنسانية أولى، إذ المنطقى أن الله الذى خلق الإنسان لا بد أن يعينه بأن يعطيه حقيقة التصور فى جوانب العقيدة المختلفة ليتمكن ذلك الإنسان من ضبط تصرفاته وأمور حياته مع هذا التصور، والذى هو حقيقة الدين.

وليس من منطق العقل أن يتصور الإنسان أن الله تعالى ترك الإنسانية فى أول وجودها لتستكشف عالم الغيب ثم تضل ثم تصبح تلك الضلالات جزءا من عقيدتها وواقعا فى حياتها، وأمرًا تنشأ عليه الأجيال، ثم يدركها الله بالوحى ليصحح هذا الخطأ، فالأولى أن يحميه بالوحى قبل أن تلتبس بالإنسان أى تصورات أو أفكار فيكون ذلك أدعى إلى رسوخها، وسرعة قبولها، فإن إنشاء عقيدة عند عقلية خالية من

التصورات أهون كثيرًا من محاولة تغيير ما درج عليه الإنسان.

وعلى هذا فالقول بالتطور فى العقيدة يؤدى إلى انهيار جميع الأديان، وتصبح الأديان على هذا محاولة بشرية فى صورة أسطورية لإسكات صوت فطرى يتساءل عن الكون والحياة، وتكون النتيجة المترتبة على ذلك أن الأديان مع فطرية الحاجة إليها هى إجابات خرافية لا تعبر عن حقيقة الأمر، وبالتالى فلا حاجة إليها، وهذه نتيجة متناقضة.

وبالتالى فإن الإيمان بوجود الوحى الإلهى للإنسانية فى أى زمن يقتضى أن تكون البداية توحيدا خالصا وأن يكون الوحى هو المحدد لها.

ومن جهة أخرى فإذا كنا نجد أن الإنسان لم يترك ليكتشف بنفسه أسس استمرار حياته وتتابع أجياله، ولا ليحدد هذه الأسس، بل رُتب جسده على هيئة معينة وبوظائف محددة، وقد يجد من نفسه ألم الجوع أو العطش ليعرف احتياجه، وفى بعض الأحيان جعل استمرار هذه الحياة ليس خاضعًا لإرادته كالتنفس، وبالتالى فليس عليه فى حياته المادية إلا أن يسير وفق هذه الأسس ووظائف الأعضاء، فيتناول على قدر الحاجة ما يصلح لحاله، ويترك مهمة تحويل الطعام لغذاء لأعضائه الداخلية، فهو لا يخترع طريقا بل يسير وفق ما حدد له، إذا كان الأمر كذلك فإن أسس تحديد قيمة حياته وغايتها لا تترك له، وإنما عليه أن يسير وفق مقتضاها، وبالتالى فيأتى الوحى بالعقيدة، فتكون البداية بالتوحيد لا غير، بالأدلة العقلية الصحيحة وليس فقط لخبر القرآن – مع كونه صادقا –، مما يعطينا نتيجة ملزمة للجميع.

المطلب الثالث

أسباب التحريف فى العقائد

ذكرنا فى المطلب السابق أن التوحيد هو الأصل فى عقائد البشر، وبالتالى فإن الدين الأول للبشرية كانت عقيدته توحيدا خالصا، وبما أن الدين أكبر من العقيدة، بمعنى أن الدين يشمل عقائد وتشريعات وعبادات وأخلاقًا وغير ذلك، فإن الاختلاف فى الأديان قد يتحقق باختلاف العقائد أو بغيرها من مكونات الأديان، لكن الفرق أن الأديان قد تختلف فى العبادات أو التشريعات وتبقى كلها فى إطار الصحة وعدم البطلان، كما فى اختلاف الرسالات السماوية، أما اختلاف الأديان فى العقائد فإما أن يكون الطرفان باطلين، أو أن يكون الصحيح منها واحدا فقط، ومن هنا فإن الخروج عن العقيدة الصحيحة يجعل الدين باطلا لا جدال فيه، وهذا يعد انحراف يقينا، ولا بد لهذا الانحراف من أسباب، وهى ترجع فى مجملها إلى البعد عن الوحى الصحيح والاغترار بالعقل الإنسانى القاصر، ولعل من أهم الأسباب التى أدت لهذا الانحراف ما يلى:

أولاً: قلة العلم وانتشار الجهل:

والطريق إلى ذلك يبدأ بإهمال الأمة علاقتها بالله تعالى، فإن المجتمع إذا كان حريصا على استقامته كثر فيه السؤال عن أحكام الشرع وحدوده، وانتشرت فيه المعرفة بذلك، وصار للعلماء شأن فيه، فتتتابع فيه الأجيال التى تحرص على حمل العلم، ويجد الأذكياء والعباقرة أن طريقهم هو فى هذا المجال، أما إذا فترت همة المجتمع فى علاقته بالله قل فيهم السؤال، واندثرت بينهم المعرفة، وندر فيهم العلماء، ويصبح الانتساب لحمل العلم الدينى الصحيح هو فعل البليد فى الذهن، وهو حال من لا يجد لنفسه طريقة للعيش إلا من هذا السبيل، وهؤلاء ليسوا بأهل لكمال الفهم، ولحسن الاستنباط، وحين يحتاج الناس إلى معرفة عقيدة أو حكم شرعى سيلجأون لهؤلاء فيلبسون عليهم دينهم، ويحرفون الكلم عن مواضعه، فتضيع العقيدة.

ومما يستأنس به فى هذا المقام الحديث الصحيح (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء – وفى رواية من الناس –، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما – وفى رواية لم يبق عالم – اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسألوهم فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[1].

ثانيًا: الابتداع فى الدين وعدم الفطنة لمداخل الشيطان:

من آثار قلة العلم على المجتمع أو عدم الاستقامة أن الناس يستشعرون الخطر على الدين من مواقف طبيعية، ويحاول كل منهم حينئذ أن يضع لنفسه ما يراه مشجعا له أو مساعدا له دون الرجوع إلى ضوابط الشرع أو الحرص على سلامة النتائج.

ومما تذكره بعض الروايات أن من أول ما دخل الشرك فى البشرية أن أناسا صالحين ماتوا، فحزن قومهم عليهم، فقال بعضهم لبعض لنصنع تماثيل على أشكالهم لنتذكرهم فنعمل مثل عملهم، فلما تقادم العهد، وذهب الجيل الذى فعل ذلك، ونسى الناس السبب، جاء الشيطان لذرياتهم فقال: أتدرون لم صنع أباؤكم هؤلاء؟، كانوا يدعونهم فتستجيب لهم، ويستنصرونهم فتنصرهم، فعبدوهم من دون الله[2].

وقد يكون صنع تلك التماثيل ليس حراما فى شرعهم لكنهم فتحوا بابا لم يكن معهودا بينهم لغرض دينى، ثم لم يتواصلوا بالمعرفة عن الدوافع والأسباب فأدى ذلك مع أجيال تالية إلى الشرك والبعد عن الله تعالى.

ثالثًا: فقد الوحى الصحيح:

---

(١) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب العلم، باب كيف يقبض العلم، حديث رقم ١٠٠، فتح البارى بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ج٢، ص٢٤٥، مكتبة الصفا، ٢٠٠٣، ورواه مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن، صحيح مسلم بشرح النووي، ج١٦، ص٢٢٣-٢٢٥، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

(٢) انظر التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ج٣٠، ص١٣٢، المكتبة التوفيقية،٢٠٠٣، وكذا تفسير القرآن العظيم، الإمام ابن كثير، ج٤، ص٤٢٦-٤٢٧، دار البيان العربي، والمكتبة التوفيقية.

حين لا يجد الناس الطريق الحق، والوحى الصحيح، يحاولون بعقولهم وعواطفهم الإجابة عن تساؤلاتهم حول الخلق والحياة، وعندئذ تبدأ صورة مشوهة فى الانطباع فى وجدان الأجيال المتعاقبة، فيظن الناس أن ما ألفوه وتواضعوا عليه هو الحق، وفى مثل هذا يقول القرآن الكريم: { **أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ** } [الزخرف: ٢١-٢٣].

رابعًا: التنافس على الدنيا دون ضوابط الدين:

حين يستشعر الناس أن الدنيا هى غايتهم، ويغتر كل واحد بقدرته، ويهملون الاستمساك بالدين، يندفعون للخروج على تعاليمه وعقيدته، ويبدأ الأمر بإهمال قوانين المعاملات والأخلاق ثم العبادات وينتهى بالانسلاخ عن العقيدة كلها، ومن الملاحظات اللافتة أن القرآن الكريم حين يذكر قصة ابنى آدم عليه السلام، وأن أحدهما رفض الخضوع لأمر الله، ودفعه الحقد والحسد إلى أن يقتل أخاه، فنجد أن القرآن الكريم يستمر بذكر الأحكام الإلهية الخاصة بالحفاظ على الحياة ومجازاة المفسدين، ثم قبل أن يتحد عن حماية المال من السرقة يقول سبحانه وتعالى: { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** } [المائدة: ٣٥-٣٧].

فانظر كيف بدأت الآيات بالحديث عن المعصية لتنتهى بالحديث عن الإيمان والكفر.

فإذا وصل الناس بأحد هذه الأمور أو غيرها إلى التحريف فى الدين وتغيير العقيدة يصبح الأمر – مع تتابع الأجيال – واقعا، وتضحى فى أحكام الناس الأساطير حقيقة، ويصبح عندهم المستحيل واقعا، فتنتكس الفطر، وتضل العقول، وتطمس الأفئدة، حتى إنا وجدنا الكافرين يتعجبون من الدعوة إلى الحق، ويستنكرون الثبات

على العقيدة الصحيحة، ويصبح شعارهم للصد عن سبيل الله – كما ذكر القرآن الكريم: { **أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ * وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ** } [ص: **٥-٧**]، مع أن العجيب هو الإيمان بتعدد الآلهة { **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** } [الأنبياء: **٢٢**]. وقال تعالى: {**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [المؤمنون: **٩١-٩٢**]، والعجيب أيضًا أن ينسبوا الألوهية لغير الله تعالى { **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ** } [الأعراف: **١٩٤-١٩٥**].

المطلب الرابع
نشأة علم مقارنة الأديان وتاريخه

شأن الإنسان عادة أنه إذا رءا ما يخالف ما اعتاده من سلوك ومنهج أو دين وعقيدة أن يصاب أولا بموقف الدهشة ثم يدفعه حب التطلع والمعرفة أن يلتفت ويتأمل ليصل إلى المعرفة التى ينشدها ثم يلى ذلك موقف المقارنة والترجيح.

ومن هنا فإن التعرف على الأديان المخالفة ومحاولة المقارنة بينها إنما بدأ منطقيا منذ تعددت الأديان فى البشرية واضطر أتباع كل دين إلى اتخاذ موقف من غيرهم، سواء كان هذا الموقف بالابتعاد والمقاطعة، أو بالدعوة والنصيحة، أو بالتعاون والتعاضد أيا كان شكل هذا التعاون اقتصاديًا أو اجتماعيًا أو سياسيًا أو عسكريًا أو حتى علميًا وثقافيًا.

ولو تأملنا فى دعوة الرسل السابقين لوجدنا أن كل رسالات الله تعالى مبنية على أساس الدعوة إلى الله تعالى، وهذه الدعوة تحتاج إلى مرحلتين: الأولى: إظهار بطلان ما عليه القوم من الأديان، والثانية: إقناع هؤلاء بصحة الرسالة والدين.

ولا بد لتحقيق هاتين المرحلتين من المعرفة التامة بأديان هؤلاء، ليمكن إظهار ما فيها من نقائص، ولتقع الموازنة والمقارنة المبينة لغرض الرسالة.

لكن لأن أكثر الرسالات السابقة كان يقوم بها النبى المبعوث إلى قومه خاصة فإن المعرفة بعقائد هؤلاء وأديانهم كانت ظاهرة لا تحتاج إلى استفراغ الجهد والوقت للوصول إلى حقيقتها، وكان الجهد المبذول هو فى المقارنة بين الدينين، وإظهار ما فى أديان القوم من بطلان، لكنه فى نفس الوقت لم نشهد استمرارًا لذلك على شكل علم مختص له حدوده وقوانينه، بل كان الحديث على قدر الحاجة دون انتقال إلى ما هو أكثر أو أعمق أو أدوم.

هذا من جهة الرسالات الإلهية السابقة أما من جهة الحضارات البشرية

المختلفة، فإن الآثار والحفريات تشهد بأن العقائد والأديان تلاقحت بين مختلف الحضارات، وما تشابه الأفكار بين بعض الديانات إلا أثر من آثار ذلك التلاقى والتلاقح، وبالتالى فقد كان التعرف على الأديان والمقارنة بينها موجودًا بين تلك الحضارات، تستلزمه أمور عديدة كوقوع شعب تحت سلطان آخر، أو التواصل العلمى الذى يقوم به بعض العلماء، فينقلون العلوم من حضارة لأخرى، أو الإخبار عن الآخرين وأحوالهم، أو التواصل لأجل شئون الحياة المختلفة.

لكن مع كثرة ما حدث ووقوع ذلك التأثر والمعرفة إلا أنه لم يفرد علم مقارنة الأديان بالتأليف، ولم يكن هناك متخصصون معروفون بذلك.

أما الانطلاقة الحقيقية لهذا العلم فلم تحدث إلا بعد بزوغ فجر الإسلام، وفتح البلدان، وبخاصة حين انطلقت هذه الفتوح إلى خارج الجزيرة العربية.

فلقد كان القرآن الكريم وحياة النبى صلى الله عليه وسلم وعالمية الرسالة هى الموجهات الأساسية للمسلمين فى تحديد العلوم وبيان أهدافها وكيفياتها.

ومن هنا فقد كان الدافع الأصلى نحو مقارنة الأديان هو القيام بواجب الدعوة إلى الله ونشر الإسلام، ولا يمنع ذلك من طروء بعض الدوافع الأخرى الثانوية كرعاية المُلك، وسياسة الرعية فى البلاد المفتوحة، والتعرف على الحضارات الأخرى والمعارف، وذلك شأن كثير من العلوم، تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: (كانت الاحتكاكات بين الآراء المختلفة قد منحت الحركة الفكرية حيوية دائمة، وحمت الإسلام من الجمود، وأجبرته على أن يسلح نفسه علميا، وأن يتطور بالقوى العقلية، وينهض بها من سباتها، وساعده على ذلك المطالب العديدة المنبثقة من شعائر الدين، أو من الحياة اليومية للشعوب، واجبات عديدة، ومسئوليات جسيمة، ... ففى كل حقل من حقول الحياة صار الشعار للجميع: تعلم وزد معارفك قدر إمكانك

وأينما استطعت)[1].

ولما كان الإسلام يعلم المسلمين أن المسائل الفكرية وبخاصة مسائل الإيمان والعقيدة لا ينبغى أن توضع إجبارًا وكرهًا وإنما يصل الناس إليها قناعة وحبًا، فإن المسلمين التزموا بهذا فى جميع المسائل النظرية، وكان الحوار والجدال هو السبيل فى كل العلوم، وساعد على انتشار ذلك ما وفره الإسلام من جو الحرية الفكرية لجميع الأديان والمذاهب، وصار هذا المبدأ القرآنى { **لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَى** } [البقرة: ٢٥٦] هو شعار المسلمين فى التعامل مع مخالفيهم.

ولما كان الحوار بين الأفكار قد يكون الحديث فيها عن رأى الشخص وفكره، أو عن آراء أخرى، وهذه الآراء الأخرى قد تكون معبرة عن دين مستقل، أو عن مذهب وفرقة مخالفة لما يراه لكنها من فرق المسلمين، أو تعبيرًا عن مذهب اجتماعى محدد، أو فلسفة ما، فقد نشأ من هذا كله علوم عديدة تعبر عنها فى دراساتنا الأكاديمية مواد متعددة.

فالحديث عن رأى الشخص نشأ عنه علم الكلام ما دام الأمر متعلقا بأصول العقيدة وما يتعلق بها من مسائل، فعلم الكلام هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية، أو هو علم الفقه وأصوله إن كان مختصًا بالحديث عن الأحكام العملية المستنبطة من أدلة الشرع.

أما الحديث مع المخالفين ردًا أو نقدا أو ترجيحا، فقد نتج عنه علم مقارنة الأديان إذا كان متعلقًا بأديان أخرى، أو علم الفرق الإسلامية إن كان متعلقًا بمذاهب وفرق كلامية إسلامية، أو علم الفقه المقارن إن كان متعلقًا بالمذاهب الفقهية، أو علم التيارات والمذاهب إن كان مختصا بالمذاهب الاجتماعية أى المتصلة بالمسائل الاجتماعية، أو علم الفلسفة إن كان متجها إلى دراسة الفلسفة والفلاسفة، إلى غير

(١) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة، فاروق بيضون وكمال دسوقي، ص٣٧٣، دار صادر، بيروت، الطبعة الثامنة.

ذلك من العلوم.

والفرق فى الدراسة التاريخية والمقارنة بين علم مقارنة الأديان وبين ما يختص بالفرق أو الفلسفة أو التيارات وما أشبهها، هو أن موضوع علم مقارنة الأديان لا يتصور فيه أن يتآلف دين مع دين آخر، فلا بد ألا يكون الصحيح المقبول من الأديان أكثر من واحد، أما غيرها فقد يتعدد فيها الصحيح المقبول، وفى نفس الوقت فلا يمكن تعديل دين ليتوافق مع آخر مع بقاء التمايز بينهما، فالعلاقة بين أى دينين هى التضاد لا يجتمعان وقد يرتفعان، أما المذاهب والفرق والفلسفات فلا يلزم فيها التضاد أو التناقض مع الدين، ولهذا يمكن وجودها مع وجود مسمى الدين، كما أنه يمكن تعديل تلك الأفكار لتتناسب مع الدين دون ضرر.

وبناء على ما سبق فقد اندفع المسلمون لدراسة الأديان والحديث عنها، وكانت دراستهم منصبة أساسًا على ما بين أيديهم من الأديان لتوفر الدواعى على دراستها، ولوجود المصادر الصحيحة لذلك، أما الأديان الغابرة فلم يلتفتوا إليها أول الأمر عملا بمبدأ فقه الأولويات، وكذا لنقص المصادر التى يمكن الوثوق بها لدراستها، فلما ترجمت الكتب وبدأ اكتشاف الحضارات القديمة عن طريق آثارها وأصبح لدى المسلمين الوقت الكافى لدراستها وفوا ذلك على أكمل الطرق.

وفى ظل الحضارة الإسلامية خرجت أعظم الكتب وأبقاها أثرا فى مجال دراسة الأديان ومقارنتها، وظهر الفرق بينها وبين ما سبق من الدراسات واضحا جليا، يقول الدكتور دراز: (وإنه لأثر جليل يمتاز بطابعين جديدين لم يسبق إليهما أحد فيما نعلم:

أما أحدهما فهو أن الحديث عن الأديان بعد أن كان فى العصور السابقة إما مغمورا فى لجة الأحاديث عن شؤون الحياة، وإما مدفوعا فى تيار البحوث النفسية، أو الفلسفية، أو الجدلية، أو على الأقل محدودا بحدود العقائد الموضوعية وما يشارفها، أصبح فى كتب العرب دراسة وصفية، واقعية، منعزلة عن سائر العلوم والفنون، شاملة لكافة الأديان المعروفة فى عهدهم، فكان لهم بذلك فضل السبق فى تدوينه علما مستقلا قبل أن تعرفه أوروبا الحديثة بعشرة قرون.

وأما الآخر – وهو ليس أقل نفاسة من سابقه – فهو أنهم فى وصفهم للأديان المختلفة لم يعتمدوا على الأخيلة والظنون، ولا على الأخبار المحتملة للصدق والكذب، ولا على العوائد والخزعبلات الشائعة فى الطبقات الجاهلة والتى قد تنحرف قليلا أو كثيرًا عن حقيقة أديانها، ولكنهم كانوا يستمدون أوصافهم لكل ديانة من مصادرها الموثوق بها، ويستقونها من منابعها الأولى، وهكذا بعد أن اختطوه علما مستقلا اتخذوا له منهجا علميًا سليمًا)[1]، ثم بعد أن ذكر عدة كتب ومؤلفات عربية فى هذا العلم قال: (أفترى من الإنصاف بعد هذا أن يقال عن الإسلام أنه لم يصنع شيئًا فى تاريخ الأديان المقارن)[2].

وبهذا كان للمسلمين الفضل فى وضع هذا العلم، وتحديد ضوابطه ومناهجه، أما أوروبا فلم تعرف هذا العلم بضوابطه الصحيحة وحدوده الواضحة وأهدافه الموضوعية إلا بعد أن تعلم أبناؤها فى ظل الحضارة الإسلامية أولا، ثم بعد أن تحررت من ظلمة التحكم الكهنوتى الكنسى ثانيا، وبدأت بوادر هذا العلم فى الوجود فى أوروبا منذ القرن الخامس عشر. الميلاد، لكن الاهتمام به عندهم زاد منذ القرن الثامن عشر الميلادى لخدمة أهداف الإمبراطوريات الأوربية فى التوسع والاحتلال، ووضع الخطط لتيسير سياساتهم فى تلك المناطق المحتلة.

(١) الدين، د/ محمد دراز، ص٢١-٢٢، مرجع سبق.
(٢) المرجع السابق، ص٢٢.

المطلب الخامس
فائدة دراسة هذا العلم وأهميتها

إن مما يعين الإنسان على تحمل مشاق التعلم، ومواصلته، أن يضع فى ذهنه فوائد الدراسة لهذا العلم، وأهميتها، ومقدار الحاجة إليها، سواء كانت الفوائد والحاجات شخصية للفرد نفسه، أو عامة، وهى فى عمومها إما أن تكون عامة لمجتمع ما، أو أمة محددة، أو للإنسانية كلها.

وفيما يلى بعض هذه الفوائد من وجهة نظرنا نحن المسلمين:

أولاً: القدرة على بيان الحق وإقامة الحجة:

إن من واجبات الأمة الإسلامية تبليغ الإسلام لجميع الأمم تبليغًا من شأنه إقناع العقل وإقامة الحجة، والمسلمون هنا يقومون ببعض ما كان من مهام الرسل السابقين.

فقد كان كل رسول فيما سبق يبلغ دعوته لكل قومه الذين أرسل إليهم، وتتناقل أجيال قومه بعد ذلك تلك الدعوة جيلا بعد جيل، أما فى رسالة الإسلام، فإن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم لجميع المكلفين ثم مات صلى الله عليه وسلم وقد بلغ الدعوة كاملة لبعض من أرسل إليهم، فدل ذلك على وجوب قيام الأمة باستكمال الدعوة والرسالة.

ومن أسس قيام الأمة بهذا الواجب معرفة الأديان ودراستها، وذلك شأن كل الرسالات، فإن طريقة الدعوة تختلف على حسب اختلاف المعتقد، وانظر إلى إبراهيم عليه السلام كيف كانت أدلته وطريقة إقناعه تختلف بحسب من يتوجه إليهم بالرسالة، فإنه لما كان يدعو عباد الأصنام قال: { **قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ** } [الشعراء: ٧٢-٧٣]، فلما توجه لعباد الكواكب والنجوم قال: { **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ***

فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ } [الأنعام: ٧٦-٧٨]، ثم لما علم من آخرين عبادة البشر- جادلهم حسب معتقدهم، قال تعالى: { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** } [البقرة: ٢٥٨].

ثانيًا: دراسة الشبهات والرد عليها:

لما كان الحوار مع المخالفين لإقناعهم بالرسالة ليس قائما من طرف واحد، بل من حق الآخر التساؤل والنظر، ولما كانت الشبهات تثار سواء عن عدم وضوح أو محاولة تلبيس، ولما كانت هذه الشبهات بعضها يعود على الإسلام لتشويه صورته وبعضها محاولة لإثبات صحة أديان أخرى، فكان لا بد من الدراسة والرد، وإن من العلوم التى يناط بها هذه الدراسة والرد علم مقارنة الأديان.

ثالثًا: اختبار الأديان بميزان العقل الصحيح:

الأصل أن الإنسان لا بد أن يتوافق حكم العقل الصحيح عنده مع ما يتخذه من عقائد وأديان، وألا يظهر التناقض بينهما، فإن أى عقيدة تطالب أصحابها بالإيمان بوجود أمر مستحيل عقلا أو تنكر وجود أمر واجب عقلا هى عقيدة باطلة.

وقد نبهنا قبل ذلك[1] أن الإنسان قد يشب على عقيدة باطلة أو تعميه الأهواء والسلوكيات الاجتماعية فيفقد ملكة التفرقة بين الخطأ والصواب، وقد يصل لمرحلة يظن فيها أن ما هو عليه صواب مع وضوح خطأه.

وفى بعض الأحيان قد تكون حالة القداسة التى يعطيها لبعض أمور دينه مانعة له من النظر والتأمل والوصول إلى الحق.

---

(١) راجع المبحث الثالث.

من أجل ذلك كان القرآن الكريم يحرص دائما على الدعوة إلى النظر والتأمل للوصول إلى الحق { **قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ** } [النعام: ١٤٨ -١٤٩].

فدراسة الأديان تبين للإنسان حال الأديان حقيقة حين توضع تحت حكم العقل الصحيح، وهى فرصة لأصحاب الأديان لرؤية ما يمكن أن يوجه إلى دينهم من نقد ومدى إمكانية الرد عليه من عدمه، وحينئذ سيظهر لكل ذى عينين الحق من الباطل.

رابعًا: التأكد من حاجة البشر إلى الرسالات الإلهية:

دراسة الأديان فى واقعها وتاريخها تؤكد للإنسان أن عقله قاصر وضعيف عن إدراك الحقائق العليا فى الكون، وتحديد الأطر الصحيحة للحياة، وما دام هذا القصور سيؤدى إلى خلل فى وظيفة الإنسان وفهمه للحياة، فإن من فضل الله تعالى أنه أدرك الأمم برسالاته لتبين للناس الحق والنور والصواب، قال تعالى: { **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ** } [فاطر: ٢٤]، وبهذا يعترف الإنسان بعد هذه الدراسة بحاجته للمعونة الإلهية والرسالات السماوية، ويزداد شكرًا لله إذ أرسل تلك الرسالات.

خامسًا: التنبه لفضل الله فى هذه الرسالة الخاتمة:

فى كثير من الأحيان حين ينشأ الإنسان على نعمة ما لا يقدرها حق قدرها، وقد لا يتخيل حال من فقدها، فيظل فى حياته غير مدرك لقيمة ما بين يديه، ولا متخيل لأهمية ما وصل إليه.

وغالبًا لا يدرك قدر النعمة إلا من تعرض لفقدها، أو استطاع أن يدرك حقيقة حال من فقدها.

ومن هنا فإن دراسة الأديان توقف المسلم على مقدار الخبط والضلال الذى يحيط بما حوله من الأديان فى زماننا هذا، وتجعله يعيد النظر فى دينه على حسب ما وقف من حال تلك الأديان، فيعرف حقيقة الفرق بين النور والظلمات، والحق

والباطل، والصواب والخطأ، ويفهم فضل الله عليه حين هداه لهذا الدين، { **اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** } [البقرة: ٢٥٧]، وحين يعرف ذلك يزداد حرصا على هذا الحق من أن يضيع منه، أو يضل هو عنه، ويزداد خضوعا لله وشكرا له سبحانه وتعالى.

سادسًا: التعرف على الأديان ومقدار الصلة بينها:

حين يتعمق الإنسان فى دراسة الأديان وفهم جوانبها، ومعرفة تاريخها، سيمكنه ذلك أولا من دراسة التطور الناشئ على الأديان، وأسبابه، وأهدافه، وطرقه، ليحتاط مما قد يغير صفو عقيدته من أشباه تلك الأمور، لأن قانون الأسباب فيها واحد.

وثانيا يستطيع أن يتعرف على جوانب الشبه بين الأديان، ودراسة أسباب وجوده، ليستخرج مثلا الحكم بفطرية الإيمان بوجود الخالق، أو الحكم بالاحتكاك والتأثر بين بعضها بعضا، فمثلا حين نجد التشابه بين عقيدة التثليث عند الهندوس فيما يتعلق بالآلهة براهما وسيفا وفشنو، وكذا عقيدة الفداء عندهم ممن يقولون بألوهية كرشنا، نجد تشابها بين هذا وبين عقيدة النصارى فى القول بالتثليث الآب والابن والروح القدس وعقيدتهم فى ألوهية المسيح، يستدعى هذا البحث عن منشأ ذلك الشبه، فإذا وجدنا أن عقيدة الهندوس أقدم من النصرانية بثمانية قرون على الأقل وأن هناك مجالا لتعلم بعض الداعين للنصرانية من تلك العقيدة، كانت النتيجة احتمالا قريبا من اليقين بأن النصرانية فى حالها المعرف والتى تأثرت فى تكوينها بعقائد وفلسفات عديدة – قد تأثرت بالهندوسية فنقلت منها بعض عقائدها.

سابعًا: اختصار الأماكن والأزمان للتعرف على الأديان:

قد يحتاج الدارس أو العالم للاطلاع على أديان متعددة لدوافع مختلفة، فمنهم من يحتاج لذلك ليعلم كيفية الدعوة والإقناع، وما هى الأديان الموجودة فى مكان كذا،

وما مكوناتها، وكيف يستطيع الحوار معها، ومنهم من يحتاج لذلك ليعرف الصلة بين الأديان ويدرس تطوراتها وأثر بعضها فى بعض، ومنهم من يحتاج لذلك ليعرف كيفية سياسة الرعية فى أماكن مختلفة، وهكذا.

ولما لم يكن فى مقدور كل إنسان أن ينتقل بنفسه من بلده لبلد آخر ليتعرف على أديان أهله، مع صعوبة هذا الانتقال فى حد ذاته، إذ يقدم على ما لا يعرف عنه شيئا، ولما لم يكن عمر الإنسان كافيا للإحاطة بأكثر الأديان فضلا عن جميعها، بل قد لا يكفى للإحاطة بدين واحد خلاف دينه، وخاصة إذا اختلفت المجتمعات، وتباينت اللغات، وافترقت الثقافات، لذلك كان من أهمية هذا العلم اختصار الأزمان والأماكن وحواجز اللغة والثقافة ليجد الإنسان بين يديه صورة مقربة لهذه الأديان، ويمكن له بذلك الجمع بين الأشباه والنظائر، ويبنى كل عالم على جهد غيره، ويبدأ من حيث انتهى اتفاق الباحثين قبله.

ثم إن بعض الأديان قد اندثر أو تطور بصورة أصبح معها منبت الصلة عما كان عليه، ومعرفة ذلك يفيد فى دراسة الواقع، ولما كان من المستحيل رجوع الإنسان لما سبق من الأزمان ليعرف، كان جهد أولئك العلماء السابقين ضروريًا للاحق، فكان من فضل الاهتمام بهذا العلم تلك الإفادة.

وقد رأيت فى مجلة الأزهر أيام مشيخة فضيلة الشيخ مصطفى المراغى تقريرًا من بعثة أزهرية تم إيفادها للهند لدراسة أديانها وأحوال أهلها وكيفية الدعوة بينهم، وكان التقرير عن طائفة المنبوذين من الهندوس فى الهند، وعن أحوالهم، وفرص انتشار الإسلام بينهم.

وهذه الفائدة تعطينا أهمية الدراسة الوصفية للأديان، وأن لا يحتقر أحد معلومة يعرفها هنا أو هناك فيبلغها لمن بعده، ويستأنس لذلك بتوجيه النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع: (**بلغوا عنى ولو آية فرب مبلَّغ أوعى من سامع**)، وفى رواية

(فرب حامل فقه ليس بفقيه)، وفى رواية **(فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)**[1].

ثامنًا: تحديد مواطن الاتفاق والاختلاف:

قد يظهر فى الكلام الحديث عن الحوار بين الأديان، أو التعاون بين الأديان، وكلا الأمرين يحتاج أولاً إلى أن يتم الفهم عن الأديان وتحديد مواطن الاختلاف والتى قد تحتاج إلى حوار، ومواطن الاتفاق لتحديد كيفية التعاون حولها.

فإن الأخذ فى الحوار دون معرفة مواطن الاختلاف لون من العمى، والمبادرة إلى التعاون دون معرفة مواطن الاتفاق لون من العبث، وعلم مقارنة الأديان هو الذى يظهر مواطن الشبه أو الاختلاف، وأسس كل دين، وأصل كل عقيدة، حتى لا يطلب من أحد ما لا يتوافق مع عقيدته بداعى التعاون فيقابل بالرفض.

ويستأنس لذلك بقول النبى صلى الله عليه وسلم **(لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النَّعم، ولو دعى به فى الإسلام لأجبت)**[2].

فهذا الحديث يدور حول حلف الفضول، وكان حلفا فى الجاهلية بين أشراف من مكة أنهم لا يجدون بها مظلوما إلا كانوا معه على ظالمه حتى يستوفى حقه، وهذا الحلف كان قبل البعثة بعشرين سنة أو أكثر، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم **(ولو دعى به فى الإسلام لأجبت)**، أى لو دعا إلى مثله كفار مكة أو العرب أو غيرهم، ودعوا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأجابهم لأنه يدعو إلى أمر يرضاه الإسلام، فانظر كيف حدد النبى صلى الله عليه وسلم المواطن التى قد يتعاون فيها مع المخالفين فى العقيدة فيما يمكن أن لا يكون متناقضا مع دعوته وعقيدته.

---

(١) الحديث له روايات، وقد ورد فى البخارى كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، وورد فى مسلم، كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء، والأعراض والأموال، ورواه أبو داود، باب فضل نشر العلم، والترمذي، باب ما جاء فى الحث على تبليغ السامع، وابن ماجه، باب من بلغ علما، وغيرهم.

(٢) راجع: البداية والنهاية، ابن كثير، ج٢، ص٢٩٧، مرجع سبق.

تاسعًا: هدوء المجتمعات واستقرارها:

من أعظم أسباب استقرار المجتمعات، وتعاون أفرادها، وعدم انحلال بنيانها، احترام عقائد المشاركين فى المجتمع من المخالفين فى الدين.

فإن المساس بقضايا الدين والعقيدة شنيع حتى عند أصحاب الديانات الباطلة والبينة الفساد.

ثم إن الإنسان إذا أراد الذهاب لأمة ما، أو الاستقرار بمجتمع محدد، أو حتى إقامة روابط مؤقتة فيجب عليه أن يعرف أولا ديانة هذا المجتمع وعقائده، قبل أن يتعرف على مزاجه وثقافته، ليحدد إن كان يستطيع الاستقرار فى وسط هذه العقيدة أم لا، وإن كان الأول فما السبيل إليه، وهذا أمر يذهل عنه كثير من المسلمين إذا أرادوا السفر أو الاستقرار فى مجتمع غير مسلم، مما يعرض المسلم فى النهاية لأحد أمرين: إما أن يتخلى عن الاستمساك بدينه وعقيدته حتى لا يؤذى من المجتمع، وإما أن يتعرض للإيذاء والتنكيل بأشكال مختلفة، ولو كان قد علم ما سبق ذكره لوفر على نفسه الكثير.

ودراسة علم مقارنة الأديان تحقق للإنسان كل ما سبق ذكره، فهى تعطى للفرد صورة حقيقية عن عقيدة غيره، ودوافعه وأسبابه الدينية ليعلم كل واحد فى المجتمع حدوده ودوره.

وإذا كان الإسلام يعطى حرية المعتقد فلا يجبر أحدًا على الدخول فيه، فإنه استكمالا لهذا المبدأ أمر بأن يترك الناس واختيارهم دون إجبار مادى، أو إكراه معنوي.

ولقد كان من أول ما فعل النبى صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة أنه كتب كتابا بين أهل المدينة باختلاف قبائلهم وأديانهم، وكان فيه: (وأن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[1] إلا نفسه وأهل بيته، وأن ليهود بنى النجار مثل ما ليهود بنى

(١) يوتغ: يهلك.

عوف)[1] ثم عدد قبائل اليهود بالمدينة.

ولما حدث أن وقع رجل وامرأة يهوديان فى الزنا، انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاء يهود فقال: ما تجدون فى التوراة على من زنى، قالوا: نسود وجوههما، ونحملهما، ونخالف بين وجوههما، ويطاف بهما، قال: فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين، فجاءوا بها فقرأوها حتى إذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذى يقرأ يده على آية الرجم، وقرأ ما بين يديها وما وراءها، فقال له عبد الله بن سلام – وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم –: مره فليرفع يده، فرفعها، فإذا تحتها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما، قال عبد الله بن عمر: كنت فيمن رجمها، فلقد رأيتها يقيها من الحجارة بنفسه[2].

وهذان الموقفان لا يمكن تحقيقهما إلا بعد تمام العلم بأديان المخالفين ليمكن جعل العهد واقعا ملموسا، وليستطيع الحاكم إقامة أحكام الديانة على أصحابها دون أن يخدع.

عاشرًا: تيسير الانتصار أوقات الحروب:

يخطئ من يظن أن الفائدة من علم مقارنة الأديان تتوقف على حال السلم والحوار، فإن هذه الفائدة قد تمتد لتكون من ضمن الأسباب التى يستطيع بها الإنسان كسب المعارك والانتصار فى القتال، لأن المجتمع – وبخاصة إذا كان أمة متحدة فى الدين – غالبا ما يتصرف فى أحوال حربه ببعض ما تمليه عليه عقيدته وأوامر دينه، وبالتالى يمكن معرفة بعض ما يؤثر فى سير الحروب، كأن يتم التعرف على مدى إمكانية أن يجتمع اثنان مختلفان فى الدين ليكونوا ضدك، وما علاقة كل منهم مع الآخر

(١) السيرة النبوية، لعبد الملك بن هشام، ج٢، ص١٢٨، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الحدود، باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام، ج١٢، ص١٩٧، ورواه مسلم واللفظ له، كتاب الحدود، باب حد الزنا، ج١١، ص٢٠٨-٢١٠.

وأثر الدين فى هذه العلاقة، وما مدى أثر الدين فى حياة الأفراد الذين يحاربونك، فقد تستخدم بعض عقائد الدين أو شعائره فى موقف ما، وأقرب ما يذكر فى ذلك حرب العاشر من رمضان عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وتسعين الموافق للسادس من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين، حيث كان هذا اليوم يوافق عيدًا عند اليهود يسمى عيد كيبور أو عيد الغفران، فاستخدم هذا اليوم الذى له هذه المكانة عندهم لبدء الحرب على حين غرة.

وما ذلك كله إلا نتيجة من نتائج المعرفة بالأديان وأحوالها.

المطلب السادس
حكم تعلم هذا العلم

ذكرنا سابقًا أن الإسلام دين لم ولن ينتشر بالسيف والإكراه، وإنما طريقه الحجة والبرهان، وعرفنا أن الله تعالى استبقى لهذه الأمة بعض واجبات الرسل السابقين بأن تبلغ بقية الأمم من المكلفين أحكام الدين وتقيم عليهم الحجة، ولقد استبقى الله لأفراد الأمة بعض ما أيد به نبيهم من المعجزات وبخاصة القرآن الكريم، فى حين أن معجزات الأنبياء السابقين كانت تصبح خبرا بعد رؤية، وأثرا بعد عين، بمجرد وفاة النبى الذى جاءت على يديه.

والقيام بالدعوة يقتضى- بيان الحجة وإلزام المعاندين وذلك يتطلب المعرفة بالدين وأيضًا الخبرة بأديان المدعوين، كما أنه يقتضى الرد على الشبه التى يثيرونها سواء كانت الشبهة ناتجة عن التباس أو عناد، فمثال الرد على الأول قوله تعالى: { **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِى وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِى مُبِينٌ** } [النحل: ١٠٣]، ومثال الرد على الثانى قوله تعالى: { **وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ** } [الحاقة: ٤١-٤٢].

وإذا كان قيام الرسول بالدعوة والبلاغ واجبا لازما عليه { **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** } [المائدة: ٦٧]، فإن من يستكمل القيام بالدعوة والبلاغ يكون حكمه أيضا فى حقه الوجوب.

والفرق أن الوجوب على الرسول وجوب عينى، أما الوجوب على الأمة فهو على مجموعها وليس على كل فرد من أفرادها، وهو ما يسمى بفرض الكفاية، وهو يعنى أنه إذا قام به البعض ممن تستكمل بوجودهم المهمة خرج الجميع من الإثم، وإن لم يقم به أحد أو قام به العدد الذى لا يكفى أثم الجميع.

وإذا كان من تمام القيام بهذا الواجب الكفائى معرفة عقائد الناس وأديانهم –

كما بينا قريبا – فإن ما لا يتم الأمر إلا به يأخذ نفس حكمه، وتلك قاعدة مطردة فى أحكام الشرع، ولنتأمل فى قول الإمام الرازى فى تفسير قوله تعالى: { **فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ** } [التوبة: **١٢٢**] حيث قال أثناء حديثه عن الاحتمال الثالث فى تفسيرها: (وعلى هذا التقدير يكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتفقه والتعلم، فإن قيل: أفتدل الآية على وجوب الخروج للتفقه فى كل زمان؟، قلنا: متى عجز عن التفقه إلا بالسفر وجب عليه السفر، وفى زمان الرسول صلى الله عليه وسلم كان الأمر كذلك لأن الشريعة ما كانت مستقرة، بل كان يحدث كل يوم تكليف جديد وشرع حادث، أما فى زماننا فقد صارت الشريعة مستقرة، فإذا أمكن تحصيل العلم فى الوطن لم يكن السفر واجبًا)(١).

وبناء على ما سبق فإن دراسة علم مقارنة الأديان يكون فرضا كفائيا على الأمة الإسلامية.

وقد حفلت السيرة النبوية بالمواقف الدالة على فهم أديان المخالفين، ومعرفتها، وضرورة التعمق فيها لمن يتصدى لدعوتهم.

ففى الحديث أن عدى بن حاتم الطائى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فسمعه يقرأ قوله تعالى: { **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** } [التوبة: **٣١**]، فقال لسنا نعبدهم، فقال صلى الله عليه وسلم: (**أما إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه**)، وفى رواية: (**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟، قال: بلى، قال: فتلك عبادتهم**)(٢).

فانظر إلى معرفة النبى صلى الله عليه وسلم بما عليه اليهود والنصارى حتى إنه

(١) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ج١٦، ص١٩٦، مرجع سبق.
(٢) المرجع السابق، ج١٦، ص٣٣.

نبه عديا إلى ما كان فى دينه من المعانى مما كان خافيا عليه.

وفى الحديث أن معاذا قال: بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**)[1].

فانظر إلى توجيه النبى صلى الله عليه وسلم، وإلى فائدة ذكر ديانة المرسل إليهم فى أول الحديث لتعرف أهمية المعرفة بدين المدعوين.

ويمكن للدارس أن يرجع إلى موقف النجاشى مع عمرو بن العاص وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما ليعرف أهمية أن تكون المعرفة بأديان الآخرين ضرورية لتحديد طريقة بيان الحجة وإلقائها[2].

وعلى هذا فالحكم العام بالنسبة لتعلم هذا العلم أنه فرض كفاية على الأمة، أما على مستوى الأفراد فقد يكون الحكم واجبًا، أو مندوبًا، أو مباحًا، أو مكروهًا، أو حرامًا على حسب حال كل إنسان، وقدرته العقلية، وحاجاته الشخصية.

فالعالم الذى يتصدى لمجادلة أصحاب دين ما ودعوتهم يكون تعلمه لما هم عليه واجبا فى حقه، والفرد الذى قد ينتقل ليعيش فى وسط مجتمع آخر يخالف أفراده دينه ويخشى عليه الفتنة إن لم يتعلم يصبح الأمر واجبا عليه، أما الشخص الذى قد لا يستطيع عقله أن يفهم حقيقة هذه الأديان ووجوه الخطأ فيها والذى لم يبلغ من العلم ما يستطيع دفع الشبهة عنه أو لا يستطيع الوصول لمن يدله على الصواب، يصبح

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ج١، ص١٩٥-١٩٩.
(٢) راجع السيرة النبوية، ابن هشام، ج١، ص٢٤٩-٢٥٢، مرجع سبق.

النظر فى هذا العلم وتعلمه حراما فى حقه، وهكذا.

لكن قد تثار هاهنا شبهة مفادها أنه إذا كان الأمر كذلك، فلماذا ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عمر بن الخطاب عن النظر فى كتب السابقين، وليس عمر رضى الله عنه ممن يخشى على عقله أو فهمه، ففى الحديث أن عمر بن الخطاب أتى النبى صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال: يا رسول الله إنى أصبت كتابا حسنا من بعض أهل الكتاب، وفى رواية: فقرأه على النبى صلى الله عليه وسلم، فغضب صلى الله عليه وسلم وقال: (**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، فوالذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذى نفسى بيده لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني**).

لكن الرد على هذه الشبهة من الممكن أن يتأتى من وجوه، منها:

أولاً: أن هذا النهى إنما كان لأجل اهتمام عمر به وانشغاله حتى إنه ورد فى بعض الروايات أنه استئذن النبى صلى الله عليه وسلم فى كتابتها، فكان هذا فيه من الانشغال عن الواجب والأهم وهو كتابة القرآن ومدارسته، مع قلة الكتبة بين الناس، وإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن أن يكتب أحد من حديثه صلى الله عليه وسلم شيئًا غير القرآن وأن من كتب شيئًا غير القرآن فليمحه، وذلك لئلا ينشغل الناس عن القرآن، وألا يختلط بالقرآن غيره، فكان من الأولى النهى عما لا فائدة فى كتابته أو مدارسته.

ثانيًا: إن الإسلام يحدد صراحة بأن ما فى أيدى اليهود والنصارى كتب محرفة، فلو رءا عامة الناس انشغال كبار الصحابة بها ربما ظنوا أنها مقبولة عند الإسلام أو أنها صحيحة، وقد يتخذ حينئذ مما فيها مطاعن على كتب الله تعالى السابقة، وقد ورد أن كعب الأحبار جاء إلى عمر بمصحف (أى بكتاب) فقال: يا أمير المؤمنين فى هذا

التوراة أفأقرؤها؟، فقال: إن كنت تعلم أنها التوراة التى أنزلت على موسى يوم طور سيناء فاقرءها وإلا فلا.

ثالثًا: إن هذا النهى إنما كان لئلا يظن أحد أن فى دين الإسلام نقصا فيحتاج لجبره بالنظر فى الكتب السابقة، ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم: **(أمتهوكون فيها)** يعنى: أمتحيرون أنتم فى الإسلام، أولا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من غيركم.

رابعًا: إن هذا النهى إنما كان لئلا يتساهل العوام فى قراءتها حين يروا عمر رضي الله عنه مكبا عليها، وقد تختلط الأمور فى أذهان الضعفاء، فكان سد الذرائع أولى.

خامسًا: إن هذا النهى لئلا يصور اليهود الموقف على غير حقيقته، ويستغلونه للتشكيك فى الدين أو للزعم بأن الأحكام المتشابهة هى مأخوذة من عندهم، مع عدم حاجة المسلمين أصلاً للنظر فى كتبهم.

وقد كان اليهود ألداء فى الخصومة، وقد حكى القرآن عنهم مثل تلك المواقف، فمن ذلك قوله تعالى: { **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا** } [البقرة: **٤٢**]، وقوله تعالى: { **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا سَبِيلاً** } [النساء: **٥١**].

السادس: إن النهى فى هذا الحديث لا يستلزم النهى عن معرفة أديان هؤلاء، لأن الأدلة قامت على جواز هذه المعرفة وخصوصًا للحاجة إليها لإقامة الحجة والدليل، وبالتالى يصبح النهى هنا عن المطالعة فى ذلك الوقت، وليس عن الدراسة والتحليل لعدم استلزامها مطالعة كتبهم.

السابع: إن النهى هنا إنما كان منصبا على القراءة التى تؤدى للتصديق أو التكذيب لما لا دليل عليه، وبالتالى فهناك احتمال الوقوع فى تكذيب الخبر الإلهى أو نسبة ما ليس منه إليه.

فإن ما ورد عند أهل الكتاب إما أن يكون عندنا الدليل على صدقه فنصدق به لكن على غير وجه التقديس، أو أن يكون عندنا الدليل على كذبه فنؤمن بأنه محرف، أو ألا يكون عندنا دليل على صدقه أو كذبه فنتوقف فيه.

ويدل لهذا الاحتمال ما ورد فى هذه الرواية (لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به)، ومعنى لا تسألوهم أى لئلا تسألوهم.

وبالتالى فليس فى هذا الحديث ما يدل على كراهة الإسلام للاطلاع على الأديان ولا حتى مطالعة الكتب التى عندهم بالضوابط التى أشرنا إليها سابقًا.

المطلب السابع
القواعد الإسلامية فى دراسة الأديان

رأينا كيف أن علم مقارنة الأديان نشأ مستقلا فى الحضارة الإسلامية، وأن ذلك من أجل الوصول إلى انتشار الدين، وتيسير الدعوة.

وما دام الإسلام – كبقية الأديان السماوية – لا يعترف بإيمان من لم يؤمن قلبه، كما لا يعاقب على كفر المضطر، فإنه يرى الحوار والجدال هو السبيل إلى الوصول إلى بيان الحق وإظهاره، لأن أى دين – سماويا كان أو وضعيا – يعتمد السيف والإكراه طريقا لانتشاره فإنما يدل على ضعف حجته، وخواء نفوس أصحابه، وإحساسهم بالضعف والدونية.

وهذا هو الفرق بين ما فعله المسلمون فى الأندلس، وما ارتكبه النصارى لما دخلوها بعد ذلك.

ولأن الغاية فى هذا العلم – عند المسلمين – إظهار الحق، والتوفيق له، فقد جاءت قواعد إسلامية رشيدة لأجل الوصول إلى ذلك، هذه القواعد مأخوذة من القرآن الكريم، وفعل النبى صلى الله عليه وسلم، وسيرة أصحابه ومن بعدهم، ومن أهم هذه القواعد والمبادئ ما يلى:

أولاً: الموضوعية والنزاهة فى العرض:

إن أول ما يحدد موضوعات الحوار، ومواطن النقد، هو معرفة ما عليه الخصم بطريقة صحيحة، وعرضها بطريقة سليمة.

ومن أكثر ما يصيب الأمور بالفشل أن ينسب أحد لغيره ما ليس فيه..

والإسلام يرى أن محاولة تشويه الآخر وتصويره على غير الحقيقة هى محاولة الخادعين والماكرين، وبالتالى فمن يفعل ذلك فليس بثقة فى قوله أو حكمه.

ومن ناحية أخرى فإن عدم الالتزام بهذا المبدأ يهدر الأوقات والطاقات، حيث

يعتمد المحاور عليها ويتعب نفسه فى إظهار خطأها ثم يكتشف فى وقت الجد أن كل ما بناه قد انهار، وما رتبه قد ذهب، لبطلان الأساس الذى بنى عليه، فيظهر بمظهر العاجز عن الفهم فضلا عن إقامة الدليل.

والقرآن الكريم جادل أصحاب المقالات والعقائد فى مختلف صورها، سواء من أنكر الألوهية، أو أشرك فيها، أو عبد غير الله، أو أنكر النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم، أو طعن فى القرآن الكريم، أو أنكر الآخرة والبعث بعد الموت، وغير ذلك كثير، وفى كل هذه الأمور كان يعرض لمذهب المخالفين ثم يتبعه بالدليل، وكان يصور هذه الآراء بغير افتئات عليهم، أو تزوير فى رأيهم، أو تلبيس فى شبههم، ولم يحدث فى مرة أن قال الكافرون ليس هذا هو ما نفعله، أو أن هذا الأمر ليس بهذه الصورة.

وقد ذكرنا حديث عدى بن حاتم الطائى لما سمع قوله تعالى: { **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** } [التوبة: ٣١]، قال: إنا لم نعبدهم، فرد النبى عليه موضحا صورة العبادة وحقيقتها، فلم يستطع إنكارها.

ولكى تعرف مقدار هذا المبدأ انظر إلى ما يقوله البيرونى فى كتابه: (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة): (وكنت ألفيت الأستاذ أبا سهل عبد المنعم بن على بن نوح التفليسى أيده الله مستقبحا قصد الحاكى فى كتابه عن المعتزلة الإزراء عليهم فى قولهم: إن الله تعالى عالم بذاته، وعبارته عنه فى الحكاية أنهم يقولون: إن الله لا علم له، تخييلا إلى عوام قومه أنهم ينسبونه إلى الجهل، جل وتقدس عن ذلك وعما لا يليق به من الصفات، فأعلمته أن هذه طريقة قلما يخلو منها من يقصد الحكاية عن المخالفين والخصوم، ثم إنها تكون أظهر فيما كان عن المذاهب التى يجمعها دين واحد ونحلة، لاقترابها واختلاطها، وأخفى فيما كان عن الملل المفترقة، وخاصة ما لا

يتشارك منها فى أصل وفرع، وذلك لبعدها وخفاء السبيل إلى تعرفها(١).

والموجود عندنا من كتب المقالات وما عمل فى الآراء والديانات لا يشتمل إلا على مثله، فمن لم يعرف حقيقة الحال فيها اغترف منها ما لا يفيده عند أهلها والعالم بأحوالها غير الخجل إن هزت بعطفه الفضيلة، أو الإصرار واللجاح إن رخت فيه الرذيلة، ومن عرف حقيقة الحال كان قصارى أمره أن يجعلها من الأسمار والأساطير، يستمع لها تعللاً بها والتذاذا لا تصديقا واعتمادا)(٢).

ثانيًا: تصوير رأى الخصم بحسب اعتقاده:

فى بعض الأحيان قد يتحرج المرء من ذكر الاعتقادات الفاسدة التى عليها الخصم، وبخاصة ما كان منها متناقضا مع جلال الله وعظمته ووحدانيته، فمثلاً أن يكون الحديث عن الإغريق أو المصريين القدماء فتذكر عقائدهم فيقال: الإله مارس إله الحرب عند الإغريق، أو الإله رع إله الشمس عند قدماء المصريين.

وهنا يرفع القرآن الحرج فى هذا التصوير، لفهم حقيقة الموقف عند الخصم، وإيراد رأيه بأقصى ما يعتقده، وناقل الكفر ما دام غير معتقد به ولا مريد له فليس بكافر.

لقد أطلق القرآن وصف الرب والإله فى معرض ذكر مواقف الخصوم أو لإقامة الحجة عليهم.

فإبراهيم عليه السلام لما كان يجادل عباد الكواكب فرأى كوكبا { **قَالَ هَذَا رَبِّى** } [الأنعام: ٧٦] يعنى فى زعمكم، ولما كان القرآن يصف مواقفه مع عباد الأصنام قال

(١) يقصد أن هذه الطريقة تكشف وتعرف فيما إذا كان الحديث عن الفرق والمذاهب المتشاركة فى الدين، لكن اكتشافها صعب فى الأديان البعيدة عن أسماع وأخبار الحاضرين.

(٢) الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي، البيروني، راجعه وقدم له د/عبد الحليم محمود، عثمان عبد المنعم، ص١٦، ١٧، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (وهذا الكتاب أجزاء من كتاب البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة).

القرآن: { فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ } [الصافات: ٩١]، ونقل القرآن قول هؤلاء لما رأوا أصنامهم قد كسرت { قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: ٥٩]، وذكر القرآن قول موسى عليه السلام للسامرى: { وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا } [طه: ٩٧]، وقال يوسف عليه السلام لمن معه فى السجن: { أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ } [يوسف: ٣٩].

ففى كل ما سبق سماهم آلهة وأربابا مع أن حقيقة المعتقد أن هذا كله باطل، لكن فى معرض التصوير والجدال رفع الله الحرج فيه.

ثالثًا: عدم تقييد أحد بما لا يتقيد به:

فالحوار والمناقشة مفتوح فى كل القضايا ومع ذكر كل الأدلة، وكل طرف يسير وفق معتقده، والقرآن ناقش فى كل القضايا والعقائد دون حجر أو تقييد.

رابعًا: الدعوة إلى تكرار النظر فى الأدلة:

لما كان الغرض أن يظهر الحق ويقوى، فإن الغاية من الحوار والجدال ليست أن يفحم المرء خصمه بالحجة فى لحظة الحوار فقط، بل أن يتأكد الخصم من قوة الدليل أمام أى نقد وبأية وسيلة كانت.

وبالتالى فإنه يطلب من الآخر أن يراجع نفسه ويشاور من يريد ليصل إلى القناعة الكاملة بالحق، ودائما ما كان قول القرآن الكريم: { قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ } [الأنعام: ١٤٩] هو شعار المسلم ودعوته.

وهذه القاعدة تستنبط من القرآن الكريم من آيات عديدة، مثل قوله تعالى: { الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ } [الملك: ٣-٤]، فالأمر بتكرار النظر والتأمل ومحاولة إثبات وجود الخلل كان ليتأكد

من كمال الخلق وعظيم الإبداع.

وانظر إلى حكايات القرآن الكريم لأدلة الأنبياء السابقين، مثل قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا } [نوح: ١٣-٢٠]، فإيراد القرآن لهذه الأدلة إشارة على صحة التحدى بها منذ نوح إلى أن تقوم الساعة فهل عند البشر من اعتراض عليها، وفى نفس الوقت تعليم للبشر أن أدلة الأنبياء ليست من قبيل اللعب بالعواطف والكلمات وتغييب العقول بالدهشة والإشغال ثم يكتشف المخاطب بأن كل ما قيل له هو خطأ وضلال.

ولنتأمل فى تحدى القرآن للإنس والجن نجد أنه مذكور بصيغة الاستمرار، فلم يقل إن لم تستطيعوا الآن فآمنوا بل أمرهم بالمحاولة بعد المحاولة، ولن يستطيعوا، قال تعالى: { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء: ٨]، وقال تعالى: { وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ } [البقرة: ٢٣-٢٤].

ولهذا فإن لم يستطع الخصم بعد كثرة المحاولة أن ينقض الأدلة لزمه الحق، وأصبح بعده عنه بعد ذلك لونا من الاستكبار والعتو، قال تعالى فى حق فرعون وقومه: { فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل: ١٣-١٤].

خامسًا: سعة الصدر أمام الرد والشبهة:

من الأمور الطبيعية أن الخصم قد لا يسلم بالدليل من أول وهلة، وقد يثير الشبهات – كما ذكرنا – ضلالا أو عنادًا، وهنا يعلمنا الإسلام أن نقابل تلك الشبهات بما يفندها ويهدم أساسها.

فليس فى الإسلام قضية توضع دون دليل، وليس فيه أن يذكر الدليل ثم يمنع أصحاب العلم والعقل الراجح من المناقشة والجدال.

ولننظر إلى القرآن الكريم كيف كان يكرر الحديث والأدلة على العقائد مرة بعد مرة، وصولاً إلى تأكيد الحق وإزالة الشبهة، فقد تحداهم أولا بأن يأتوا بمثله، فلما ذكروا أنه قول بشر رد عليهم، ولما ذكروا أن محمدا صلى الله عليه وسلم تعلمه من غيره رد عليهم، فلما قالوا أساطير الأولين رد عليهم، فلما قالوا أنه شاعر أو كاهن رد عليهم، فلما أعيتهم الحيل فى إثارة الشبهات لجأوا للقتال مع أن القرآن كان يتحداهم بالدليل، وتأمل قوله تعالى: { **قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ** } [الأنعام: ٣٣].

سادسًا: تحديد موضع النزاع قبل البدء فى الحوار:

كثيرًا ما تضيع الحقائق، وتتشعب السبل، لأن الطرفين لم يتفقا أولا على موضع النزاع ومجال الحوار ومواطن الاتفاق، ومن هنا حرص الإسلام على أن يتم تحديد نقاط الاتفاق والاختلاف، ومجال الحوار قبل البدء فيه.

فلما حدث أن تنازع وفد نصارى نجران وأحبار يهود حول إبراهيم عليه السلام، كل فريق يدعى أنه كان منهم، قال القرآن الكريم: { **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ** } [آل عمران: ٦٥].

ونجد أن الآية السابقة على هذه الآية دعوة لأهل الكتاب لتحديد مجال الاتفاق اللازم بين أهل الديانات السماوية، قال تعالى: { **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ**

دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } [آل عمران: ٦٤].

سابعًا: التزام الأدب فى الحوار:

لا بد فى مجال الجدال والحوار من التزام الأدب فيه، وعدم الاحتقار أو التهوين من شأن غيره، بل اللازم إظهار احترام الخصم، وتقدير عقله، مع عدم الموافقة على رأيه وعقيدته.

وقد وضع القرآن قانونًا عامًا لذلك فقال: { **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** } [النحل: ١٢٥].

وفى توجيه آخر يقول سبحانه وتعالى: { **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** } [العنكبوت: ٤٦]، والاستثناء فى قوله تعالى: { **إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** } هو استثناء من أصل الجدال، وليس من الجدال بالتى هى أحسن، والمعنى لا تجادلوا الظالمين من أهل الكتاب، أما غيرهم فلا تجادلوهم إلا بالتى هى أحسن.

والمقصود بالذين ظلموا أهل الحرب والقتال، فإنه لا يصح الانشغال حينئذ عنه بغيره.

وفى توجيه بليغ يقول القرآن الكريم: { **وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ** } [الأنعام: ١٠٨]، فهذا تأديب ربانى ينبغى للمسلم الالتزام به وعدم الخروج عنه.

ثامنًا: النصفة فى القول، والتواضع فى الكلام:

مما يعين على انفتاح العقل وهدوئه ليتأمل فى الأدلة بدون أى معوقات، أن يقدم المسلم الكلام ليس على جهة الاستعلاء، ولا الاحتقار، بل مراعيا النصفة فى الأقوال والأحكام.

وفى القرآن الكريم آيات تشير إلى هذا المبدأ وهذه القاعدة، ومن ذلك قوله

تعالى: { **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ** } [سبأ: ٢٤-٢٥].

وفى تفسير هاتين الآيتين نجد أن الآية الأولى فيها: (المسألة الأولى: هذا إرشاد من الله لرسوله إلى المناظرات الجارية فى العلوم وغيرها، وذلك لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر هذا الذى تقوله خطأ وأنت فيه مخطئ، يغضبه، وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر، وعند اختلاله لا مطمع فى الفهم، فيفوت الغرض، وأما إذا قال له بأن أحدنا لا يشك فى أنه مخطئ، والتمادى فى الباطل قبيح، والرجوع إلى الحق أحسن الأخلاق، فنجتهد ونبصر أينا على الخطأ ليحترز، فإنه يجتهد ذلك الخصم فى النظر، ويترك التعصب، وذلك لا يوجب نقصا فى المنزلة، لأنه أوهم بأنه فى قوله شاك، ويدل عليه قول الله تعالى لنبيه: {**وإنا أو إياكم**}، مع أنه لا يشك فى أنه هو الهادى وهو المهتدى، وهم الضالون والمضلون)[1]، وأما الآية الثانية فتفسيرها: (أضاف الإجرام إلى النفس، وقال فى حقهم، {ولا نسأل عما تعملون} ذكر بلفظ العمل لئلا يحصل الإغضاب المانع من الفهم، وقوله {لا تسألون}، {ولا نسأل}، زيادة حث على النظر، وذلك لأن كل أحد إذا كان مؤاخذًا بجرمه فإذا احترز نجا، ولو كان البرىء يؤاخذ بالجرم لما كفى النظر)[2].

تاسعًا: التوقف عن الحوار إذا خرج عن هدفه وأسسه:

إذا خرج الأمر عن إطار محاولة الوصول للحق، وأصبحت الشبهات قائمة على طرق السفسطة، وإهدار العقل، وطرح بدهيات القضايا، وإذا صارت النفوس عقيمة لا قبول عندها للحق، وجب التوقف عندئذ، لأن استمرار الجدال حينئذ لا معنى له، ولا أثر له إلا زيادة الصد والنفور.

لكن ينبغى عند التوقف الإشهاد على الحق الذى نراه حتى لا يظن أحد أن هذا

(١) مفاتيح الغيب، الإمام الرازي، ج٢٦، ص٢٢٤-٢٢٥، مرجع سبق.
(٢) المرجع السابق، ج٢٦، ص٢٢٥.

التوقف كان لشبهة عرضت، أو لاعتقاد البطلان فى القضية.

ولنتأمل فى مواقف عديدة فى القرآن تشير لهذا المبدأ، ففى حق نوح عليه السلام جاء قوله تعالى: { **أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ** } [هود: **٣٥**]، وفى حق هود عليه السلام جاء قوله تعالى: { **إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ** } [هود: **٥٤-٥٥**]، وجاء فى حق محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: { **قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ** } [سبأ: **٢٦**]، وجاء قوله تعالى: { **اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** } [الشورى: **١٥**].

وتعبر سورة الكافرون عن مثل هذا الموقف، وتنادى على الناس بأن المسلم لا يزداد بصدهم واستكبارهم إلا إيمانًا وثباتًا، قال تعالى: { **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** } [الكافرون: **١-٦**].

عاشرًا: اختيار الأوقات المناسبة:

الإنسان ليس آلة صماء، بل أنه كائن حى يتقلب فى أطوار حياته، وتتأثر نفسه بمواقف حياته، ولكل وقت حالته، وينبغى أن يكون المسلم فى جداله لماحا، يستخدم الوقت المناسب عند خصمه ليدنيه من الحق ويدله عليه.

ولنتأمل فى قصة إسلام عمر رضي الله عنه لنرى كيف وقفت أخته أمامه تتحدى كفره وبطشه، فلما رأت فى نفس الموقف ما لمست فيه لينه، وطمعت فى إسلامه، طلبت منه أن يغتسل ثم أعطته صحيفة فيها صدر سورة طه، فلما قرأها أسلم بعد أن شرح الله صدره(١).

وختامًا؛ فإن المسلم ينبغى أن يضع فى ذهنه أنه لا يبين الحق فقط للخصم، بل

(١) راجع قصة إسلام عمر فى السيرة النبوية لابن هشام، ج١، ص**٢٥٧-٢٥٩**، مرجع سبق.

يعينه على نفسه ووساوس شياطينه، طمعًا فى هدايته، وحبا لنجاته، وقد قال الله تعالى حكاية عن القوم المتقين فى قصة القرية الحاضرة البحر: { **قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ** } [الأعراف: **١٦٤**]، ثم إن للحوار والجدال آداب ينبغى الحرص عليها، يمكن معرفتها بالرجوع لكتب آداب البحث والمناظرة[١].

(١) من هذه الكتب الكافية فى الجدل للإمام الجويني، تحقيق د/ فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابى الحلبي، **١٣٩٩**هـ-**١٩٧٩**م، وكذا إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، ج**٣**، المكتبة المصرية، صيدا، بيروت، **١٤١٣**هـ-**١٩٩٢**م

المطلب الثامن

ألوان دراسات الأديان عند علماء المسلمين ومناهجها

دراسات المسلمين فى مجال مقارنة الأديان كثيرة ومتشبعة، والجهد المبذول من علماء المسلمين كبير وغزير، وإذا أردنا أن نتحدث عن هذه الدراسات وتقسيمها فإنه يمكننا أن نقسمها من عدة نواحى، منها:

أولاً: من ناحية طريقة العرض، وهى تنقسم إلى طريقة وصفية وأخرى جدلية.

ثانيًا: من ناحية كيفية العرض، وهى تنقسم إلى شفهية وأخرى خطية.

ثالثًا: من ناحية علاقة أسلوب المؤلف بحاله، وهى تنقسم إلى تجريدية وأخرى اعترافية.

وفيما يلى تفصيل الحديث عن هذه النواحى الثلاث:

أولاً: تقسيم الدراسات من حيث طريقة العرض:

يمكن تقسيم دراسات المسلمين فى علم مقارنة الأديان من حيث الطريقة المتبعة فى الكلام على قسمين: الأولى طريقة وصفية، والثانية طريقة جدلية، والقسم الثانى ينقسم بحسب موضوعه إلى أربعة أقسام:

١- النقد والهدم. ٢- المقارنة. ٣- الدفاع. ٤- الإثبات والبناء.

القسم الأول: الطريقة الوصفية:

فى هذه الطريقة يعمد المؤلف إلى استحضار حقيقة الأمر كما يراه أصحابه، فهو يهتم بالوصف والتأريخ للأديان المخالفة لدين الإسلام، ولا يهتم هنا بأن يدخل فى بيان الصواب والخطأ أو الحقيقة والأسطورة فيما يعرضه، وإنما يذكر الدين كما يعتقده أصحابه وبحسب آرائهم واستدلالهم.

وهذه الطريقة هى الخطوة الأولى فى علم مقارنة الأديان، إذ لا يمكن النقد، ولا

المقارنة، ولا معرفة مواطن الاتفاق والنزاع، ولا غير ذلك إلا بعد اكتمال الصورة الحقيقية عن الدين المراد محاورة أهله.

ومن هنا نعرف أهمية هذا الجانب، وقد يعمد البعض إلى الاقتصار عليه حتى لا تتفرق الآراء فى الذهن عند من يقرأ أو يتعلم.

ومن نماذج هذه الطريقة كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة) للبيرونى، وكتاب (الملل والنحل) للشهرستاني.

فالبيرونى يذكر أن أحد العلماء طلب منه تأليف كتاب عن الهند وأديانها، ويقول: (ففعلت غير باهت على الخصم، ولا متحرج عن حكاية كلامهم، وإن باين الحق، واستفظع سماعه عند أهله، فهو اعتقاده، وهو أبصر به.

وليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل فيه ذلك بإيراد حجج الخصوم، ومناقضة الزائغ منهم عن الحق، وإنما هو كتاب حكاية، فأورد كلام الهند على وجهه، وأضيف إليه ما لليونانيين من مثله لتعريف المقاربة بينهم)[1].

أما الشهرستانى فإنه يقول فى مقدمة كتابه (الملل والنحل): (فلما وفقنى الله تعالى لمطالعة مقالات أهل العلم من أرباب الديانات والملل، وأهل الأهواء والنحل، والوقوف على مصادرها ومواردها، واقتناص أوانسها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك فى مختصر يحوى جميع ما تدين به المتدينون، وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر)[2]، ثم لما تكلم عن الفرق الإسلامية قال: (وشرطى على نفسى أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته فى كتبهم من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، ودون أن أبين صحيحه من فاسده، وأين حقه من باطله)[3].

وكان منهج علماء المسلمين لتحقيق كمال هذا الجانب – لما يترتب عليه من الأثر كما سبق بيانه – هو الرجوع إلى المصادر الأصلية للأديان، ما دامت متوفرة بين يديه،

(١) الفلسفة الهندية، البيروني، ص١٧-١٨، مرجع سبق.
(٢) الملل والنحل، الشهرستاني، ص١١، مرجع سبق.
(٣) المرجع السابق، ص١٦.

مع الأمانة العلمية فى النقل والتدوين[1]، وكذا مع الدقة الشديدة فيما يذكر عنها ومحاولة التثبت من كل ما يقال أو يكتب، والتفرقة بين أفعال العوام وحقيقة الدين[2].

ولقد تحمل العلماء المشاق للوصول لهذه الصورة حتى إن بعضهم اضطر للسفر والمعيشة بين أصحاب تلك الأديان وتعلم لغاتهم لينقل صورة صادقة مما رآه.

ومن أمثلة ذلك البيرونى، فإنه سافر فى سن مبكرة مع السلطان محمود الغزنوى إلى الهند، وجاهد ليتعلم لغاتها وثقافاتها،و يقول: (إنى كنت أقف من منجميهم مقام التلميذ من الأستاذ لعجمتى فيما بينهم، وقصورى عما هم فيه من مواصفاتهم، فلما اهتديت قليلا لها أخذت أوقفهم على العلل، وأشير إلى شىء من البراهين، وألوح لهم الطرق الخفية فى الحسابات، فانثالوا على متعجبين، وعلى الاستفادة متهافتين، يسألون عمن شاهدته من الهند حتى أخذت عنه، وأنا أريهم مقدارهم، وأترفع عن جنبتهم مستنكفا، فكادوا ينسبوننى إلى السحر، ولم يصفونى عند أكابرهم بلغتهم إلا بالبحر)[3].

ولما رجع البيرونى وجد أن المسطور فى بعض كتب الفرق والأديان لا يشمل الحقيقة على أصلها، وإنما فيه مما قد يفهمه البعض خطأ أو يلبسه زورا فى الكلام، ويقول: (وكان وقع المثال فى فحوى الكلام على أديان الهند ومذاهبهم، فأشرت إلى أن أكثر ما هو مسطور فى الكتب هو منحول، وبعضها عن بعض منقول، وملقوط مخلوط، غير مهذب على رأيهم ولا مشذب، فما وجدت من أصحاب كتب المقالات أحدًا قصد الحكاية المجردة من غير ميل ولا مداهنة سوى أبى العباس الإيرانشهري)[4].

ولذلك كتب كتبه حول الهند، ومنها كتابه تحقيق ما للهند، والسبب فى ذلك كما

(١) بحوث فى مقارنة الأديان، د/محمد الشرقاوي، ص٣٨، مرجع سبق.
(٢) راجع؛ الدين، د/محمد دراز، ص٢١-٢٢، مرجع سبق.
(٣) الفلسفة الهندية، البيروني، ص٤-٥، مرجع سبق.
(٤) المرجع السابق، ص١٧.

يقول: (ليكون نصرة لمن أراد مناقضتهم، وذخيرة لمن رام مخالطتهم)[1].

ولقد كان هذا العمل وأمثاله محل تقدير الجميع، حتى إنه لنرى من ينقل عن الهنود سعادتهم، وأنهم (يعتبرون أنه من حسن حظهم أن تصدى لتاريخهم رجل محب للإنصاف والحق، مثقف ثقافة عالية، لقد ترك لهم صورة لحضارة أجدادهم كما كانت فى عصره ما كانوا ليعرفوها لولاه، وهم وإن كانوا لا يوافقونه فى مسائل تتصل بالتفاصيل، وهم وإن كانوا يشعرون بأنه جرحهم ببعض نقده، إلا أنهم يسلمون بأنه لم يكن يقصد إلا الوصول إلى الحقيقة التاريخية وإبرازها على مظهرها الذى كانت عليه فى ذلك العهد)[2].

القسم الثانى: الطريقة الجدلية:

وهذه الطريقة مبنية على الحوار والجدال، ومناقشة الأدلة، وبيان الصواب، فهى لا تكتفى بإيراد المعتقد على حسب رأى الخصم وإنما تتعدى للحوار معه حول تلك المسائل الدينية، بغرض إثبات رأى معين أو الدفاع عن العقيدة الصحيحة.

وهذه الطريقة تنقسم بحسب موضوعها إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: النقد والهدم:

وفى هذا النوع يهدف المؤلف إلى توجيه النقد على القضايا الدينية التى يراها الخصم، وهنا يتوجه النقد لما عليه اعتقاد الخصم بإثبات خطئه أو استحالته أو كذبه، وبالتالى يتوجه النقد للدين كله، لأن العقل الصحيح يعرف أن الدين الحق لا يمكن أن يتعارض مع الحقائق العلمية أو التاريخية أو العقلية الصحيحة، ولا يمكن أن تتعارض أجزاء الدين بعضها مع بعض.

ولا يلزم فى هذا النوع أن يكون المؤلف مسلِّما بصحة الأساس أو المقدمات التى

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٢) المرجع السابق، ص٦.

بنى عليها نقده، بل يكفى فى ذلك تسليم الخصم بصحته.

وقد يكون النقد موجها إلى جوانب الدين كلها، فيفصل المؤلف الحديث عن كل جوانبه مبينا ما فى كل منها من خطأ وضلال، لكن المؤلفات فى ذلك ليست تمثل نسبة كبيرة بين المؤلفات من هذا النوع، وقد يكون النقد موجهًا إلى جانب محدد كالعقيدة أو الكتاب المقدس أو العبادات أو غيرها، أو إلى مسألة من مسائل أحد هذه الجوانب، وأكثر ما يكون ذلك يكون متصلا بالعقيدة والكتب المقدسة، إذ أن هدم شىء منها سواء بنقضه أو إدخال الشك فى صحته يؤدى إلى هدم بقية الدين تباعا.

ومن أمثلة المؤلفات فى هذا النوع: الفصل فى الملل والنحل للإمام ابن حزم الأندلسى، وكتاب تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب لعبد الله الترجمان.

النوع الثانى: المقارنة:

فى هذا النوع يكون الحوار مبنيًا على القيام بالمقارنة بين الدينين المختلفين، أو حتى بين الفرق المنتسبة لدين ما غير دين الإسلام.

ولأهمية المقارنة فى تجلية المواقف سمى هذا العلم باسم مقارنة الأديان، تسمية بأشهر أجزائه أو أكثرها أهمية.

والغرض من المقارنة إما لبيان مزية أحد الرأيين على الأخر، أو لتحديد الفرق بينهما، أو لإثبات الصلة والتأثر بينهما.

وقد تكون المقارنة بين الرأيين كاملين فى كل ما يشكل فيهما جانب الدين، وهذا الأمر قليل، وقد تكون بين أجزاء محددة فى الدين تتم المقارنة على أساسها.

وهذه المقارنة من جهة ثانية قد تكون بين رأيين أو فرقتين تنتسبان لدين واحد غير الإسلام كالمقارنة بين الفريسيين والصدوقيين من اليهود، أو المقارنة بين الكاثوليك والأرثوذكس من النصارى، وقد تكون بين دينين مختلفين كالمقارنة بين الإسلام والمسيحية.

ومن جهة ثالثة قد تكون المقارنة بين طرفين فقط وذلك الأغلب وقد تكون بين

أكثر من طرفين كالمقارنة بين الإسلام والمسيحية واليهودية مثلاً.

ومن أمثلة هذا النوع من الدراسات كتاب (الإعلام بمناقب الإسلام) لأبى الحسن العامرى الفيلسوف، حيث قام بالمقارنة بين الإسلام واليهودية والنصرانية والصائبة والمجوس وعباد الأصنام، فى موضوعات: الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات، والمزاجر، والنظام الاجتماعى، والاقتصادى، والجوانب الحضارية والثقافية(١).

ومن أمثلته كذلك كتاب (العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية) للأستاذ/ محمد طاهر التنير، وجعل كتابه هذا فى ثمانية عشر فصلا (تتعقب النصرانية وطقوسها وترجع بها إلى الحقائق الثابتة عن الأديان الوثنية القديمة)(٢)، وعندما عقد موازنة بين أقوال النصارى فى المسيح وأقوال الهنود فى كرشنا تقارب (الاعتقادان حتى أوشكا أن يتطابقا، وإذا كانت البرهمية أسبق من النصرانية المحرفة، فقد علم إذن المشتق والمشتق منه، والأصل وما تفرع عنه)(٣).

النوع الثالث: الدفاع:

لما كان الحوار هو تفاعل بين طرفين، وأنه لا بد للطرف الثانى أن يبذل جهده، ويقدم وجهة نظره، وعصارة ذهنه، ولما كان هذا قد ينتج عنه محاولات لإثارة الشبهات، وترويج الأخطاء، كان لزاما على علماء المسلمين أن يتصدوا لمواجهة ما يثيره هؤلاء من سهام تجاه المسلمين لزعزعة الثقة فى الإسلام، كما أن وقوع المسلمين تحت سلطان غيرهم فى بعض الأحيان يجعلهم عرضة لألوان كثيرة من هذه الشبهات وكان واجب العلماء الرد.

---

(١) راجع: بحوث فى مقارنة الأديان، د/ محمد الشرقاوي، ص٤٣-٤٤، مرجع سبق.

(٢) أصول النصرانية فى الميزان، د/ محمد سيد أحمد المسير، ص١٤٣، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

(٣) مقارنات الأديان – الديانات القديمة، الشيخ محمد أبو زهرة، ص٢٥، دار الفكر العربي، ٢٠٠٦م.

ومن هنا فإن هذا النوع يرجع فى أسباب الحاجة إليه إلى ناحيتين:

الأولى: وهى تتعلق بأصحاب الأديان الأخرى إذ تمثل هذه الشبهات عقبة لا بد من دفعها سواء كانت صادرة عن تلبيس عليهم، أو تعنت منهم، حتى لا يصد أحد عن سبيل الله.

الثانية: وهى تتعلق بالمسلمين أنفسهم وبخاصة عوامهم، إذ لا بد من إزالة هذه الشبهات حتى لا تتسبب فى زلزلة إيمان العامة، وتشتيت عقيدتهم.

ومن أمثلة هذا النوع كتاب (مقامع هامات الصلبان ورواتع روضات الإيمان) لأبى جعفر أحمد بن عبد الصمد الأنصارى، وكان فى مدينة طليطلة حين وقعت فى يد النصارى، وقد ألف هذا الكتاب ردا على محاولات بعض القساوسة التشكيك فى الإسلام(١).

ومن أمثلته كذلك كتاب (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) للإمام ابن قيم الجوزية، إذ يقول فى مقدمة هذا الكتاب: (وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين، فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذى فيه، وظن المسلم أنه بإجابته القاصرة أصاب، فقال: هذا هو الجواب، فقال الكافر: صدق أصحابنا فى قولهم أن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب، فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب، وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب.

فشمر المجيب عن ساعد العزم، ونهض على ساق الجد، وقام لله قيام مستعين به، مفوض إليه، متكل عليه فى موافقته مرضاته، ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال، وهذا فرار من الزحف، وإخلاد إلى العجز والضعف، وقد أمر الله بمجادلة الكفار بعد دعوتهم إقامة للحجة، وإزاحة للعذر، { **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَى عَنْ بَيِّنَةٍ** } [الأنفال: ٤٢]، والسيف إنما جاء

(١) راجع: المدخل لدراسة الأديان، د/محمد المسير، ص١٤١-١٤٦، مرجع سبق.

منفذًا للحجة، مقوما للمعاند، وحدا للجاحد)[1].

النوع الرابع: الإثبات والبناء:

فى هذا النوع يهتم المؤلف باستخدام معتقدات الخصم ومقدساته ومسلمات دينه فى إثبات صحة قضية دينية إسلامية ليلزم بها هذا الخصم.

وهذا هو الفرق بين علم مقارنة الأديان وعلم الكلام، إذ علم الكلام أساسه تقديم الأدلة الصحيحة على صحة هذا الدين ومسائله، أما علم مقارنة الأديان فهو يهتم أساسا بالأدلة المستنبطة من عقائد الآخرين وأديانهم وإن لم تكن مسلمة للقائل أصلا، وإن كان ذلك لا يمنع من استخدام بعض أدلة عقلية أخرى.

وحين يستخدم العالم هذا النوع فإنه يجعل الخصم غالبًا يدور بين أمور ثلاثة:

الأول: أن يسلم بصحة المقدمات فيلزمه التسليم بصحة النتائج.

الثانى: أن يطعن فى صحة المقدمات فيلزمه الطعن فى مسلمات دينه وكتبه التى يقدسها.

الثالث: أن يتكلف لهذه المقدمات تأويلات بعيدة ليس لها دليل ظاهر فيفتح الباب لفقدان الثقة فى كل الباقى لجواز دخوله تحت مثل هذه التأويلات، ما دام أنها لا ضابط لها إلا الفرار من التسليم بالحق.

وفى كل هذه الأحوال فلا بد أن تتعرض عقيدة الخصم وديانته للشك وعدم التسليم، فينهار بالتالى كل ما بنى عليها، لأن الشك لا يؤسَّس به لليقين.

وأكثر ما نجده فى هذا النوع هو فى مجادلة أهل الكتاب وخصوصا النصارى فى ذكر البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم المقدسة.

ومن أمثلة هذه الكتب ما ورد فى كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله بن خليل

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى، الإمام ابن قيم الجوزية، ص٣٨-٣٩، تحقيق د/أحمد حجازى السقا، دار الريان للتراث، بدون بيانات.

الرحمن الهندى، وفى كتاب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل) للإمام ابن حزم، وكتاب (البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل) للدكتور أحمد حجازى السقا، وغيرها كثير.

ثانيًا: تقسيم الدراسات من حيث كيفية العرض:

يمكن تقسيم دراسات علماء المسلمين فى علم مقارنة الأديان من ناحية كيفية عرض كل منهم لأفكاره إلى قسمين:

الأولى: الطريقة الشفهية، الثانى: الطريقة الخطية.

القسم الأول: الطريقة الشفهية:

وهنا يكون الاعتماد على النطق لإيصال المعلومة، والحديث عن الأديان المخالفة، وهذه الطريقة تستخدم فى المواقف المناسبة لها، كأن يكون الموقف درسا أو محاضرة، أو خطبة، أو مناظرة، أو لقاء.

وقد كان الاعتماد على هذه الطريقة واسعا وخاصة فى القرون الأولى فى الحضارة الإسلامية، إذ كان الأصل أن ينتقل العلماء إلى البلدان لتعليمهم ومجادلة علمائهم، ولا زال لهذه الطريقة الانتشار، وبخاصة مع تضاؤل القراءة والإطلاع.

ومن مميزات هذه الطريقة أنها تمكن المتكلم من ملاحظة أحوال المستمعين فيتعمق فى هذه النقطة أو تلك، وقد يلاحظ استغلاق جزء فيزيد شرحه، كما أنها تمكنه من استخدام أساليب التشويق والترفيه بعض الأحيان عن المستمع ليزداد انتباهه، وقد يتمكن بسهولة من الربط بين أكثر من نقطة ثم يستعيد موضوعه مرة أخرى، وغير ذلك من أمور.

لكن من عيوب هذه الطريقة أنها قد تعرض المعلومات للنسيان أو الاضطراب لكونها سماعا فقط، وأنه لا يمكن الإحاطة بكثير من النقاط فى المجلس الواحد، ومع تباعد المجالس يُنسى بعضها بعضًا، وقد لا يكون المتحدث مهيئًا لخطاب الناس

فيخطئ فى إفهامهم، وغير ذلك من نقاط.

ومن أبرز ما يعرف فى هذه الطريقة المناظرة الكبرى فى الهند بين الشيخ رحمة الله الهندى وبين القس بافندر، يوم الحادى عشر من رجب سنة ألف ومائتين وسبعين من الهجرة وكانت تدور حول موضوعين هما: إثبات أن القرآن نسخ التوراة، وأن الأناجيل محرفة لتحريف التوراة، وقد طبعت بعد ذلك(١).

القسم الثانى: الطريقة الخطية:

وهى تعتمد على الكتابة لإظهار الآراء، ومناقشة الأدلة، وبيان المواقف، وقد تكون الكتابة متبادلة بين طرفين فى موضوع ما، وقد تكون مستقلة غير مرتبطة بشخص آخر.

وميزة هذه الطريقة أن فيها القدرة على التنسيق، ومراجعة الكلمات قبل نشرها، وسهولة الرجوع إليها مرة أخرى، والجمع بين أجزاء الموضوع متكاملة، وعدم التقيد فى الاستفادة منها بزمن معين، وبقاء المكتوب دهرًا طويلاً، وغير ذلك من أمور.

لكن من عيوب هذه الطريقة أنها ليست مناسبة لجميع الناس، وأنه قد يفهم من المكتوب خلاف المراد، وغير ذلك من نقاط.

وأغلب ما يرجع إليه الباحثون فى هذا الباب هو من قبيل هذه الطريقة، ولعلها هى الأكثر نفعًا، وأعمق أثرًا، وأطول زمنًا، وأعظم علما، مع الاعتراف بأن لكل حالة ما ينفعها.

ثالثًا: تقسيم الدراسات من حيث علاقة أسلوب المؤلف بحاله:

يمكن للباحث من جهة ثالثة أن يقسم دراسات علماء المسلمين فى علم مقارنة الأديان من حيث حديث المؤلف عن حاله وأثره فى هذا التأليف أو عدم حديثه، وهذه

(١) انظر: مناظرة الهند الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقس بيفندر، تحقيق د/أحمد حجازى السقا، ص٥، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ_١٩٩٢م.

الناحية يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الأول: الأسلوب التجريدى، الثانى: الأسلوب الاعترافي.

القسم الأول: الأسلوب التجريدى:

وفى هذا القسم يقصد المؤلف إلى إظهار غرضه، وبيان مقصوده، دون أن يتحدث عن تجربته الشخصية فى الهداية إلى الإسلام، إما لأنه نشأ مسلما، أو لأنه يقصد الحديث المجرد فقط.

وأكثر ما كتب إنما كان من هذا القسم.

القسم الثانى: الأسلوب الاعترافى:

وفى هذا القسم يقصد المؤلف إلى الحديث عن قصة إسلامه، وكيفية هدايته، وأسباب تركه للدين الأول، وذلك غالبًا قبل أن يتحدث عن الدين الذى يريد مجادلته.

وهنا يمكن ملاحظة أمور:

الأول: أن هناك ارتباطًا بين موضوع كتابه والدين الذى تركه حين هدايته للإسلام.

الثانى: أن جميع الكتب فى هذا القسم لا تقتصر على الجانب أو القسم الوصفى الذى ذكرناه فى تقسيم الدراسات بحسب طريقة عرضها.

الثالث: أن كل من كتب عن تجربته فى الهداية كانوا علماء دين بين أقوامهم، مما يعطى القارئ إحساسًا بأن هذه الهداية فى حد ذاتها كانت نتاجا لدراسة مقارنة صادقة بين الدينين.

الرابع: أنهم جميعا تقريبا كانوا يغيرون أسماءهم لتعطى انطباعًا عن ديانتهم التى دخلوا فيها وهى الإسلام، مع أن ذلك لم يكن لازما عليهم، ولم يكن يفعله كل من دخل الإسلام.

ومن أمثلة هذا القسم كتاب (تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب) لعبد الله الترجمان الأندلسى والذى كان يسمى القس إنسلم تورميدا، وقد ذكر قصة إسلامه فى الفصل الأول من الكتاب(١)، وكذا كتاب (محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن) للأستاذ إبراهيم خليل أحمد والذى كان يسمى القس إبراهيم خليل فيلبس، والذى دخل الإسلام عام **١٩٥٩**م وتمت الإجراءات رسميًا عام **١٩٦٠**م، وقد ذكر قصة إسلامه فى مقدمة كتابه(٢).

كان ما سبق هو عرض مبسط لأنواع دراسات علماء المسلمين وألوانها واتجاهاتها فى جانب دراسة الأديان ومقارنتها ونحب أن ننبه إلى أمور:

أولاً: إن العلاقة بين هذه الأنواع هى التكامل، ولا يلزم بالتالى أن ينفرد الكتاب بقسم دون آخر وذلك من أقسام القسم الأول، أما القسمين الأخيرين فلا تجتمع أقسام كل منهما معًا.

ومن هنا؛ فقد ينطبق على الكتاب أنه وصفى وأنه نقدى وأنه مقارن وأن فيه دفاعًا إلى غير ذلك، والأمثلة المذكورة فيما سبق أكثرها يجمع بين اثنين أو أكثر.

لكن إما أن يكون التعليم شفاهة أو كتابة، وإما أن يكون الموقف مجردا أو اعترافيًا، وهذا لا يمنع أن يكون للشخص الواحد موقف شفهى وآخر مكتوب، وأن يكون له كتاب تجريدى وآخر اعترافى إن كان سبق له التدين بغير دين الإسلام.

ثانيًا: الحديث عن هذه الأنواع هنا هو بحسب دراسات المسلمين، ومن هنا فإننا من الممكن أن نجد مثل هذه الأنواع والأقسام عند غير المسلمين، لكن لن نجد

(١) راجع كتاب تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب، عبد الله الترجمان، تحقيق د/محمود على حماية، دار المعارف، مصر، **١٩٩٢**م.

(٢) راجع كتاب محمد ﷺ فى التوراة والإنجيل والقرآن، إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، **١٤٠٩**هـ-**١٩٨٩**م.

عندهم مؤلفا من القسم الاعترافى يكون صاحبه عالم دين مسلم ثم انتقل إلى أى دين آخر، والحمد لله رب العالمين.

ودائما سيبقى للإسلام والمسلمين السبق مع الغزارة والموضوعية والتنوع واستمرارية الدافع، مما لا يوجد عند غير المسلمين.

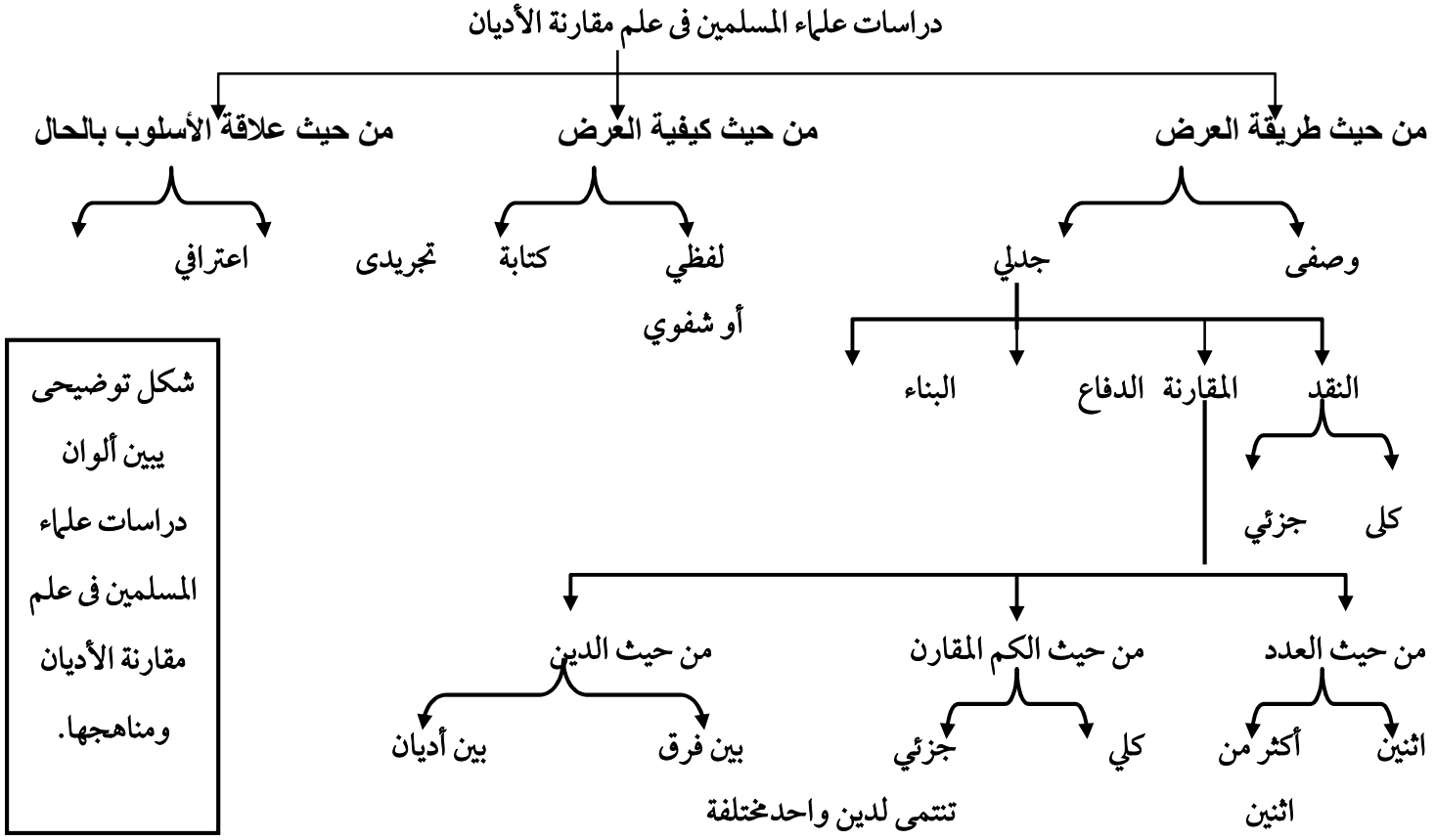
دراسات علماء المسلمين فى علم مقارنة الأديان
من حيث طريقة العرض
من حيث كيفية العرض
من حيث علاقة الأسلوب بالحال
وصفى
جدلي
لفظي
كتابة
أو شفوي
تجريدى
اعترافي
النقد
المقارنة
الدفاع
البناء
كلى
جزئي
من حيث العدد
من حيث الكم المقارن
من حيث الدين
اثنين
أكثر من
اثنين
كلي
جزئي
بين فرق
بين أديان
تنتمى لدين واحدمختلفة
شكل توضيحى يبين ألوان دراسات علماء المسلمين فى علم مقارنة الأديان ومناهجها.

المطلب التاسع
موضوع علم مقارنة الأديان ومسائله

الدراسة فى علم مقارنة الأديان تنصب على الأديان، وما يتعلق بها، فالموضوع هو الأديان فى وجودها وأحوالها، وبالنسبة للمسلمين فموضوع هذا العلم: هو كل ما يصح أن يكون دينا غير دين الإسلام، وسيأتى بيان ذلك، أما مسائل هذا العلم ومجالاته فعديدة، ويمكن الإشارة إليها كما يلى:

أ- العقائد:

فالعقيدة هى جوهر الدين، وهى التى تؤثر فى كل جوانبه بعد ذلك، فتحدد الهدف والطريق، وإذا بطلت العقيدة بطل كل ما ينبنى عليها من أمور، وانهار الدين الذى يؤسس عليها، وبالتالى فإن أول ما تتجه إليه الدراسة فى هذا العلم هو العقائد بكافة جوانبها، الإلهيات، والنبوات، والسمعيات.

ب- العبادات:

ويقصد بالعبادات هنا كل ما يتصل بخضوع الأفراد للخالق، وصلتهم به، فهى تشمل ألوان العبادات، وكيفياتها، وطقوسها، وأعيادها.

ج- الشرائع:

ومحل الدراسة لهذه الشرائع ما دامت مبنية على الدين، ومتصلة به فى فكر أصحابه، وتشمل الشرائع كل ما ينظم علاقة الإنسان بغيره، كأحوال الأسرة من الزواج والطلاق والميراث، والنظم الاقتصادية، والقوانين التشريعية، وغيرها.

د- الكتب المقدسة:

فالدراسة تتصل بما يعتقد فيه أصحابه أنه كتاب مقدس معصوم، فتتناول ما تتضمنه من أسفار وأجزاء، وما فيها من أفكار، أو ما مر بها من مراحل، وما عليها من ملاحظات، وغير ذلك.

هـ- تاريخ الأديان:

حيث تكون الدراسة منصبة على الحديث عن نشأة الدين، وتاريخه، ومراحل تطوره، وأسباب ما طرأ عليه، وما إلى ذلك.

و- البناء الأخلاقى:

لأن التعاليم الأخلاقية متصلة بالأوامر الدينية، فلذلك كان من مسائل الدراسة وجوانبها ما يتصل بالبناء الأخلاقى وأثره.

ز- الفرق الدينية:

فيكون الحديث عن نشأتها، وعلاقة بعضها ببعض، وأثر ذلك على استقرار الأديان، والفرق بين هذه الفرق المختلفة، وتاريخ كل منها.

ح- المؤسسات الدينية:

حيث يكون الحديث عن المؤسسات التى تنشأ تطبيقا لتعاليم الدين وأوامره، ونشأة هذه المؤسسات، وتاريخها، وكيفية عملها، وأثرها، وغير ذلك.

ط- علاقة الدين بحياة معتنقيه:

حيث يكون الحديث عن أثر الدين فى شخصية أفراده، ومدى تداخله مع أمور حياتهم، ومدى التزام الأفراد بضوابط دينهم.

ي- الشخصيات الدينية الرئيسية:

حيث يكون الحديث عن هؤلاء الأشخاص سواء كانوا مؤسسين أو علماء أو دعاة، وتاريخ كل منهم، وأثره فى أتباعه.

ك- الأساطير الدينية:

حيث يتم الحديث عن الخرافات والأساطير فى الأديان، ومدى تغلغلها، وعوامل انتشارها، وأسسها الدينية، وفائدتها عند أصحابها.

ل- انتشار الدين وعوامله:

حيث يكون الحديث عن أماكن وجوده، ومواطن انتشاره، وعوامل هذا الانتشار، ودعائم الاستقرار والاستمرار، وما يقابله من معوقات وآراء.

م- موقفه من العلم والفكر:

حيث تدرس نظرته للتطورات العلمية والآراء الفلسفية وأثرها فى تكوينه واستمراره.

ن- الأثر الحضارى والمعرفى:

حيث يتم إبراز ما قدمه هذا الدين من آثار حضارية ومعرفية على يد المعتنقين له، ولا بد من التفرقة بين ما كان الدافع لإيجاده عند أصحابه هو الدين، وما كان بعيدًا عن سلطان الدين وتوجيهه.

كل هذه النقاط يتم دراستها على حسب ما يوجد منها فى كل دين، وقد تدرس فرادى أو مجتمعين، وقد يتم الجمع بين أكثر من نقطة منها، وتكون الدراسة بكافة الألوان والاتجاهات التى تم ذكرها قبل ذلك.

المطلب العاشر
تصنيف الأديان وتقسيمها

يمكن للدارس أن يصنف الأديان ويقسمها باعتبارات مختلفة، فقد يتم الرجوع فيها إلى اعتبارات الزمان أو المكان أو الاعتقاد أو غير ذلك.

وفى بعض الأحيان قد تخفى أسس هذا التقسيم فتحتاج إلى تنبيه، وفيما يلى سنذكر بعض هذه الاعتبارات، وأهمها بالنسبة إلينا معشر المسلمين:

أولاً: تصنيفها من حيث صحتها:

يمكن تقسيم الأديان من حيث صحتها إلى قسمين.

أديان صحيحة. **وأخرى فاسدة وخاطئة.**

فالأديان الصحيحة هى ما توفر لها أربعة شروط:

الأول: صحة المنبع والمصدر: بأن تكون من عند الله تعالى وليست من اختراع البشر، لأن أفعال البشر ظنية ناقصة غالبًا.

الثانى: صحة التبليغ: بأن تأتى دعائمها وأصولها على يد نبى ثبتت نبوته، وأنه صادق فيما بلغ عن الله تعالى.

الثالث: صحة الكتاب والتشريع: بأن تكون أحكامها وكتبها المقدسة صحيحة لم تتعرض لتحريف البشر سواء بالزيادة أو النقصان.

الرابع: صحة النقل والإرشاد: بأن تنتقل ثوابته وأصوله إلى الأجيال بطريق التواتر الذى لا ينقطع من أول السند لآخره، جيلا بعد جيل، لأن انقطاع السند وعدم تواتره يؤدى إلى عدم الثقة فى صحة نقله وسلامته.

أما الأديان الفاسدة فهى كل دين فقد هذه الشروط كلها أو بعضها.

ومن هنا فإن الوصف بالدين الصحيح لا ينطبق إلا على رسالات الله تعالى فى حال نقائها وصفائها وسلامتها، فإن دخلها التحريف أو الانقطاع بعد ذلك زال وصف الصحة عنها.

وعلى هذا فالوصف بالدين الصحيح فى زماننا لا ينطبق إلا على الإسلام، لأنه لا توجد رسالة لنبى سابق باقية حتى الآن بغير تحريف وتبديل، وما عداه فهى أديان فاسدة.

ولا بد من التفرقة بين الوصف بالدين الصحيح وبين الوصف بالدين المقبول عند الله تعالى، لأنه إذا افترضنا وجود دين صحيح مع الإسلام الآن، فإن المقبول عند الله تعالى هو الإسلام فقط، لأنه دين ناسخ لجميع الأديان.

ثانيًا: تصنيفها من حيث أصلها:

يمكن تقسيم الأديان من حيث أصلها إلى قسمين:

أديان لها أصل سماوى، وأخرى ليس لها أصل سماوي

ومعنى أنه ليس لها أصل سماوى أى أنها بشرية الأصل، مخترعة من العقل.

والمقصود بالأديان التى لها أصل سماوى كل دين ينتسب أفراده فى إيمانهم لأنبياء نعرفهم، ونؤمن برسالتهم، ونصدق بوجودهم، سواء كان أتباع هذا الدين على نهج هذا النبى حقيقة أم لا.

وبالتالى فإن هذا الوصف لا يستلزم الإيمان بصحة عقيدة من انطبق عليه، وهذا ما فعله القرآن الكريم حيث سمى اليهود والنصارى بأهل الكتاب فى آيات كثيرة، فقال تعالى: { **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيء حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ** } [المائدة: ٦٨]، مع أن القرآن ذكر أنهم حرفوا كتبهم وغيروا هداية الله فيها، قال تعالى: { **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** } [المائدة: ١٥].

ومن جهة أخرى فإنه لا علاقة بين وصف الدين بأن له أصلا سماويا بهذا الاعتبار وبين الأحكام الفقهية المتعلقة بغير المسلمين، فمثلا نجد أن المجوس يعاملون عند بعض العلماء ممن لهم شبهة كتاب باعتبار أنهم بقايا دين إبراهيم عليه السلام، بينما هم هنا من الأديان التى ليس لها أصل سماوى لأنهم ينتسبون فى عقائدهم وشرائعهم لغير إبراهيم عليه

السلام كزرادشت ومانى ومزدك، ومن ناحية أخرى فإن أتباع القاديانية ممن يعترفون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ويرجعون لأحكامه وكتابه، مع قولهم بنبوة غلام أحمد القادياني هم فى الأحكام الفقهية كفار يعامل أوائلهم معاملة المرتدين، وتعامل أجيالهم التالية معاملة الكافرين من غير أهل الكتاب، بينما هم فى هذا التقسيم قد يكونون من الأديان التى لها أصل سماوى لانطباق التعريف السابق عليهم.

وإذا تم ما سبق فإن الأديان السماوية فى زماننا هذا هى الإسلام لاتباعه محمدًا صلى الله عليه وسلم ثم النصرانية لانتسابها إلى عيسى عليه السلام ، واليهودية لانتسابها إلى موسى عليه السلام ، وقد تلحق بها القاديانية كلها أو شعبة لاهور من فرقها لزعمها الانتساب لمحمد صلى الله عليه وسلم[1] مع اليقين بعدم صحة ذلك.

وما عدا ذلك كالبهائية والبوذية والهندوسية فهى أديان بشرية ليس لها أصل سماوى، حتى وإن انتسب بعضهم لمن يزعمون نبوته لكنها نبوة غير ثابتة عندنا، أوأن هذا النبى ليس هو المحرك الأول لأفعالهم وأحكامهم.

ثالثًا: تصنيفها من حيث دعوتها لغير أتباعها:

يمكن تقسيم الأديان من حيث موقفها من غير المؤمنين بها ودعوتها لهم للدخول فيها إلى قسمين:

الأول: أديان دعوية. **الثانى: أديان غير دعوية.**

فالأديان الدعوية أو المفتوحة هى الأديان التى يعتقد أتباعها وبخاصة علماء الدين فيها بأن دينهم موجه لبقية البشر، وأن من واجبهم دعوة غيرهم واستمالتهم للدخول فيه، وقد يصل الأمر عند أتباع بعض تلك الأديان إلى استخدام أساليب

(١) راجع فى معرفة عقائد القاديانية وأحوالها كتبا مثل: تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد، الشيخ/محمد أبو زهرة، ص٢٢٤-٢٣٢، دار الفكر العربي، ١٩٩٦، والبابية والبهائية والقاديانية فى المعايير الإسلامية، د/حسن محرم الحويني، ص١١١-٢٥٧، ١٩٨٥، والبابية والبهائية والقاديانية فى الميزان، د/سيد فرج الغول، ص٩٣-١٢٧، ١٤٣٢هـ-٢٠١٢م.

القهر والتضييق على غيرهم لإجبارهم على الدخول فيها.

أما الأديان الغير دعوية أو المغلقة فهى التى لا تهتم كثيرا بحال غيرهم، ولا يرى علماؤها وجوب نشر الدين بين غير أممهم، لكن تلك الأديان غالبا لا تمانع من دخول غير المؤمنين بها إليها، وقد تضع حينئذ بعض الشروط والطقوس الخاصة لقبول مثل هؤلاء، فمثلاً فى الأحكام التلمودية التى يخضع لها كثير من اليهود فإن اليهودى (هو المولود لأم يهودية، أو من اعتنق اليهودية على يد حاخام أرثوذكسى، وعملية التهود ليست هينة، إذ يصر الحاخام على التقيد بالشعائر التلمودية، ومن بينها الحمام الطقوسى الذى يجب أن تخضع له الأنثى التى تريد التهود، فتدخل الحمام عارية تماما، بحضور ثلاثة من الحاخامات، وتحت أنظارهم)[1].

والرسالات الإلهية السابقة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت من القسم الثانى، فإن لكل أمة رسولا، ولكل رسالة شريعة ومنهاجا، وعموم الرسالة الذى كان منذ آدم إلى نوح عليهما السلام لم يكن أصيلا فى الرسالة وإنما كان لأجل أنه لا وجود لبشر على الأرض خلاف من أرسل إليهم ذلك الرسول، أما رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فهى عامة بطريق الأصالة فيها.

وموقف المسيحية فى زماننا بجعلها ديانة دعوية لم يكن فى أساس رسالة عيسى عليه السلام، فالقرآن الكريم يقول: { **وَرَسُولًا إِلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ** } [آل عمران: **٤٩**]، وإنجيلهم يخبر بأن عيسى عليه السلام قال: (**ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل**)[2]، لكن النصارى يزعمون أن عيسى عليه السلام بعد انتهاء وجوده بين تلامذته قال لهم: (فاذهبوا إذن، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب

(١) اليد الخفية، دراسة فى الحركات اليهودية السرية والهدامة، د/ عبد الوهاب المسيري، ص٢٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠، الأعمال الفكرية.

(٢) الكتاب المقدس، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ١٥، العدد ٢٥، الطبعة السادسة، ١٩٩٥م.

والابن والروح القدس)[1]، ولعل الذى دفع النصارى لهذا التحريف أنهم أولا يئسوا من إيمان اليهود وهم الذين كانت الرسالة إليهم أصلا، وثانيًا أنهم خافوا أن تضيع الدعوة لاضطهاد اليهود، فأرادوا أن يخرجوا بدعوتهم بعيدًا عن اليهود، وطمعًا فى إيمان الوثنيين إذ هم أقرب إلى القبول، ثم إن بولس الرسول وغيره غيروا كثيرًا من عقائد المسيحية وأحكامها لتتناسب مع أحوال تلك الأمم، فأصبح الدين متغيرا بحسب حال الأمم لا أن تتغير الأمم بحسب حكم الدين كما هو الأصل.

وبالجملة فإن أكبر الديانات الدعوية فى زماننا هى الإسلام والمسيحية والبوذية، ثم يضاف لهم ديانات أخرى صغيرة كالبهائية والقاديانية، أما الديانات الأخرى فأكثرها ديانات غير دعوية، لا تتجه بدعوتها لغير أممها التى توجد بينهم ولا تعتقد عالمية رسالتها، ومن تلك الأديان اليهودية.

رابعًا: تصنيفها من حيث الوجود وعدمه:

يمكن تقسيم الأديان من حيث وجودها إلى قسمين:

الأول: أديان موجودة. **والثانى: أديان مندثرة.**

فالأديان الموجودة هى الأديان التى لها أتباع ومؤمنون فى وقتنا هذا، وهم ينتسبون إليها، ويزعمون السير على هديها حتى ولو كان زعمهم باطلا، والأديان المندثرة هى الأديان التى لم يعد لها أتباع فى زماننا هذا، وليس هناك من ينتسب إليها، ويحقق عقائدها وأهدافها.

وطريق المعرفة بالأديان المندثرة هو ما وجد من الأخبار فى الكتب عنها، سواء كانت هذه الكتب مقدسة أو غير مقدسة، وكذا ما تدلنا عليه آثار الأمم السابقة، سواء كانت هذه الأمم تخبر بهذه الآثار عن أديانها، أو أديان غيرها، وأيضا مما تناقلته الأمم من الأخبار والروايات.

وفائدة المعرفة بهذه الأديان – على حسب ما ذكرنا سابقا – التعرف على تقلبات

(١) المرجع السابق، العهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح ٢٨، العدد ٢٠.

البشرية بين الأديان، والخبرة بأطوار التفكير العقلى وأحواله، ومعرفة التطور والتأثير بينها وبين غيرها سواء من الأديان المندثرة الأخرى أو من الأديان الباقية الموجودة، ودراسة عوامل وأسباب الاختفاء والانتهاء.

ومن الأديان المندثرة الديانة المصرية القديمة.

وفى ختام هذا المطلب ننبه إلى أمرين:

الأول: أن دين الإسلام – وهو الدين الوحيد الصحيح الباقى إلى زماننا هذا – ليس من الأديان التى تتجه إليها دراسة علماء المسلمين فى علم مقارنة الأديان بطريق الأصالة، لأن الأصل أن علماء المسلمين يتجهون بدراستهم إلى الأديان الأخرى للتعرف عليها، ومحاورة أتباعها، ودراسة المسلمين لدينهم تتوزعها علوم كثيرة كعلم أصول الدين وأصول الفقه والتفسير وعلوم القرآن والحديث وعلوم الحديث والفقه وغير ذلك.

لكن من جهة أخرى فإن غير المسلمين قد تنصب دراستهم على دين الإسلام أصالة لأنه ليس دينهم، وقد يثيرون التساؤلات أو الشبه، فيتصدى علماء المسلمين فى هذا العلم للرد والبيان مما يستلزم الدراسة والحديث عن دين الإسلام، لكن ليس لأنه من موضوعات هذا العلم عندهم ولكن للحاجة إلى ذلك للدفاع ورد الشبهات، والمقارنة بين الأديان.

الثانى: أن الأحكام الواردة حول تقسيم الأديان فى النوعين الأولين فيما سبق هو باعتبار عقيدة المسلم وتوجيه الإسلام، إلا أن تحديد الأديان باعتبار النوعين الأخيرين من الممكن الاتفاق حوله وإن لم نتفق حول أسبابه.

والاختلاف فى النوعين الأولين لا يضرنا، لأنا نقوم فى دراستنا استنادًا إلى دين الإسلام وموقفه، وهذه تقسيمات لا تؤثر فى موضوعية الدراسة أو وضوح الحجة، ولا

تعنى إغفال الواضح من الأدلة، أو تزوير الآراء، وذلك هو أساس البرهان فى هذا العلم.

وفى ختام هذه الدراسة نشير إلى بعض الملاحظات التى ينبغى على الدارس التنبه إليها:

أولاً: ليس الغرض الأساسى من مقارنة الأديان الهدم والانتقاص وإشاعة البغضاء، بل المعرفة الصحيحة الكاملة الموصلة إلى التقييم الصحيح والتقويم السليم، وفتح العقول والقلوب لقبول الحق، والسعادة فى ظله.

ثانيًا: قد يلاحظ الدارس فى بعض الأحيان للأديان وجود بعض العقائد الصحيحة، أو الأخلاق العالية، أو الحكم السديدة، أو الأفكار التى تتشابه مع ما عندنا، وهذا أمر لا يضر الباحث فى شىء.

فمن ناحية؛ فإنه يرى فى هذه الأديان بعض أفكار البشر وتصوراتها، وإذا لم تخالف هذه الأفكار ما عليه المسلم، أو تتعارض مع عقيدته وتدينه، فإن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها، وذلك طبعًا فى غير باب العقائد والعبادات، أو التشريعات المصادمة لما عندنا، لكنه حين يأخذها يأخذها لا على أنها مقدسة ولا على أنها قد تكون بقايا دين صحيح بل كما يأخذ أى فكرة لفيلسوف أو مصلح قد يطبقها حينا وقد يهملها أحيانا، وقد تصح زمنا وتضل أزمانا.

ومن ناحية أخرى فإنه لا يستبعد عقلا ولا يرفض نقلا أن تبقى فى بعض الأديان صور ولو ضئيلة أو مشوهة من الأديان الصحيحة التى سبقتها فإن جميع الأمم سبق إليها الأنبياء، كما قال تعالى: { **وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ** } [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: { **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** } [النحل: ٣٦]، كما أنه لا يستبعد أيضا أو يرفض أن تصل العقول البشرية لمعرفة بعض الحقائق الدينية سواء فى جانب العقيدة أو الأخلاق أو غيرها، لكن ستظل قلقة غير يقينية، ومزعزعة غير ثابتة، كما أنه لا يستبعد أن تكون تلك الأمور حدثت عن طريق التأثر بين الأديان، فيمكن أن تكون هذه الأديان أخذتها من أديان صحيحة حولها سواء بطريق مباشر أو بواسطة، فلعل ما وجد هو من هذا الباب، وقبول المسلم له ليس

لكونه مقدسا وإنما لمجيئه فى الإسلام أو لوجود أدلة على صحته.

ومن ناحية ثالثة فإن الدين الصحيح هو الذى تكاملت الصحة بين أجزائه، وإن صحة جزء لا يعنى صحة الباقى، ولعلنا نعلم أن الإيمان يذهب وينهار بإنكار جزء واحد من أسسه وأركانه.

ثم إن المقارنة الصحيحة ستظهر مدى معقولية هذه الأفكار، أو ملائمتها سواء للحياة البشرية عامة وتطورها، أو للبناء الدينى المتكامل.

ثالثًا: ينبغى أن لا يتصدى للاطلاع على الأديان، والرد على أفكارها، إلا من كان متمكنا من قضيته، عالما بعقائد دينه وثوابته، لأن حديث من لا يحسن يفسد ولا يصلح، ويهدم ولا يبنى، ويفتح بابا للشبهات ولا يغلق، وقد مر قبل ذلك كلام ابن قيم الجوزية فى مقدمة كتابه (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) حول السبب الذى دفعه لتأليف ذلك الكتاب.

رابعًا: إن علم مقارنة الأديان وإن كان مختلفًا فى موضوعه ومادته وطريقة إيراد أدلته عن بقية العلوم سواء كانت شرعية كعلم الكلام والفقه وغيرها، أو كانت نظرية كعلم الاجتماع والنفس وغيرها، أو كانت متصلة بالحضارات كعلم الآثار، إلا أن علم مقارنة الأديان يستفيد من كل هذه العلوم ويتصل بها فيما يفيد موضوعه وأهدافه.

المراجع[1]

- القرآن الكريم.
- إحياء علوم الدين.
الإمام أبو حامد الغزالى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، **١٤١٣**هـ-**١٩٩٢**م.
- أصول النصرانية فى الميزان.
د/محمد سيد أحمد المسير، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، **١٤١٩**هـ-**١٩٩٨**م.
- إظهار الحق

(١) تم ترتيب المراجع بعد القرآن الكريم هجائيًا بدون اعتبار (ال)

رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- البابية والبهائية والقاديانية فى المعايير الإسلامية

د/حسن محرم الحوينى، ١٩٨٥م، بدون بيانات طبع.

- البابية والبهائية والقاديانية فى الميزان.

د/سيد فرج الغول، ١٤٣٢هـ-٢٠١٢م، بدون بيانات طبع.

- بحوث فى مقارنة الأديان

د/محمد عبد الله الشرقاوى، دار الفكر العربى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

- البشارة بنبى الإسلام فى التوراة والإنجيل.

د/أحمد حجازى السقا، رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة.

- البداية والنهاية

الحافظ ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- تاريخ المذاهب الإسلامية فى السياسة والعقائد

الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٦م.

- تحفة الأريب فى الرد على أهل الصليب

عبد الله الترجمان الأندلسى، تحقيق د/محمود على حماية، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.

- التعريفات

السيد الشريف الجرجانى، دار السرور، بيروت

- تفسير القرآن العظيم

الحافظ ابن كثير، دار البيان العربى والمكتبة التوفيقية، بدون سنة النشر.

- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب

الإمام الرازى، المكتبة التوفيقية، ٢٠٠٣م.

- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان.

د/محمد عبد الله دراز، بدون بيانات طبع.

- السيرة النبوية

عبد الملك بن هشام، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.

- شمس العرب تسطع على الغرب

زيغريد هونكه، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة.

- صحيح مسلم بشرح النووي.

الإمام النووى، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- العقيدة والأخلاق وأثرهما فى حياة الفرد والمجتمع

د/محمد عبد الرحمن بيصار، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢م.

- فتح البارى بشرح صحيح البخاري

الإمام ابن حجر العسقلانى، مكتبة الصفا، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل

الإمام ابن حزم الأندلسى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي.

البيرونى، تقديم د/ عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

- الكافية فى الجدل

إمام الحرمين الجوينى، تحقيق د/فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى البابى الحلبى، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

- الكتاب المقدس، الطبعة السادسة، ١٩٩٥م.

- الله

عباس محمود العقاد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، الأعمال الدينية، مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٨م.

- محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن.

إبراهيم خليل أحمد، دار المنار، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

-مختار الصحاح

الإمام محمد بن أبى بكر الرازى، بدون بيانات.

- المدخل لدراسة الأديان

د/محمد سيد أحمد المسير، مكتبة الإيمان، ٢٠٠٧م.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

محمد فؤاد عبد الباقى، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- المعجم الوجيز

مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- مقارنات الأديان الديانات القديمة

الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربى، ٢٠٠٦م.

- مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام

د/عوض الله جاد حجازى، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- الملل والنحل

الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، تحقيق/محمد سيد كيلانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م.

- مناظرة الهند الكبرى بين الشيخ رحمة الله والقس بيفندر

تحقيق د/أحمد حجازى السقا، مكتبة الإيمان بالمنصورة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

- نظرات فى الديانات الشرقية

د/طه الدسوقى حبيشى، ود/جمال الدين عفيفى، ود/عبد الله محى الدين، مكتبة رشوان، بدون بيانات.

- هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى

الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق د/أحمد حجازى السقا، دار الريان للثرات، بدون بيانات.

- اليد الخفية، دراسة فى الحركات اليهودية الهدامة والسرية.

د/عبد الوهاب المسيرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة

للجميع، الأعمال الفكرية، مكتبة الأسرة ٢٠٠٠.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٢٨٩
المطلب الأول: التعريفات	٢٩١
المطلب الثاني: بداية العقيدة	٣٠٠
المطلب الثالث: أسباب التحريف فى العقائد	٣٠٧
المطلب الرابع: نشأة علم مقارنة الأديان وتاريخه	٣١١
المطلب الخامس: أهمية دراسة هذا العلم.	٣١٦
المطلب السادس: حكم تعلم هذا العلم	٣٢٥
المطلب السابع: القواعد الإسلامية فى دراسة الأديان	٣٣١
المطلب الثامن: ألوان دراسات علماء المسلمين ومناهجها	٣٤١
المطلب التاسع: موضوع هذا العلم ومسائله	٣٥٥
المطلب العاشر: تصنيف الأديان	٣٥٨